المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بجرجا

(جرجا عبر التاريخ وجهود علمائها في خدمة العلوم الإنسانية)

١٤ - ١٥ شوال ١٤٤٦هـ / الموافق : ١٣ - ١٤ أبريل ٢٠٢٥م

مُحَمَّدُ شَاكِرِ الجَرجَاوِيَّ رَائِدُ الإِصلَاحِ والتَّجدِيدِ فِي الفِكرِ والمجتَمعِ (١٢٨٢-١٣٥٨هـ/ ١٨٦٦-١٩٣٩م)

Muhammad Shakir al-Jirjawi
A pioneer of reform and renewal in thought and society
(1282/ 1358AH/1866-1939 AD)

بقلم الدكتور

عَمرُو مُحَمَّد أَبُو الفُتُوح مُحَمَّد دبَّاح

دُكْتُوراه فِي التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ - كُلِّيَّةُ الدِّرَاسَاتِ الأَفْرِيقِيَّةِ العُلْيَا

جَامِعَةُ القَاهِرَةِ ـ جمهورية مصر العربية.

العدد الثاني

مُحَمَّدُ شَاكِرِ الجَرجَاوِيَّ رَائِدُ الإِصلَاحِ والتَّجدِيدِ فِي الفِكرِ والمجتَمَعِ (١٢٨٢-١٣٥٨هـ/ ١٨٦٦-١٩٣٩م)

عَمْرُو مُحَمَّد أَبُو الفُتُوح مُحَمَّد دَبَّاح

دُكْتُورَاه فِي التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ ـ كُلِّيَّةُ الدِّرَاسَاتِ الأَفْرِيقِيَّةِ العُلْيَا ـ جَامِعَةُ القَاهِرَةِ ـ جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني : amrdabbah78@gmail.com

الملخص

يَتَنَاوَلُ هَذَا البَحْثُ سِيرَةَ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ الجَرْجَاوِيّ، أَحَدِ أَعْلَامِ الأَزْهَرِ الشَّرِيفِ، ودَوْرَهُ فِي النَّهْضَةِ التَّعْلِيمِيَّةِ والقَضَائِيَّةِ فِي مِصْرَ والسُّودَانِ. وُلِدَ فِي مَدِينَةِ جِرْجَا، وتَلَقَّى تَعْلِيمَهُ فِي الأَزْهَرِ، حَيْثُ بَرَزَ كَأَحَدِ العُلَمَاءِ المُجَدِّدِينَ الَّذِينَ سَعَوْا لِإِصْلَاحِ الأَزْهَرِ وَإِدْخَالِ العُلُومِ الحَدِيثَةِ إِلَيْهِ. كَمَا شَغَلَ مَنَاصِبَ قَضَائِيَّةً مَرْمُوقَةً، وكَانَ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ رُؤْيَةٌ نَقْدِيَّةٌ ثَاقِبَةٌ فِي القَضَاءِ، ويُعَدُّ إِصْلَاحُهُ القَضَائِيُّ بَاكُورَةَ إِصْلَاحِ المَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ فِي مِصْرَ. تَمَيَّزَ الشَّيْخُ شَاكِرٌ بِفِكْرِهِ المُسْتَنِيرِ، الَّذِي أَثَّرَ فِي الخَاصَّةِ والعَامَّةِ، وكَانَ لَهُ دَوْرٌ بَارِزٌ فِي إِثْرَاءِ الفِكْرِ الإِسْلَامِيِّ فِي عَصْرِهِ، وكَانَ لَهُ دَوْرٌ محْوَرِيٌّ وقِيَادِيٌّ فِي ثَوْرَةِ ١٩١٩م، حَيْثُ تَقَدَّمَ صُفُوفَ العُلَمَاءِ وشَارَكَ فِي الحِرَاكِ الوَطَنِيِّ، ومِنْ خِلَالِ جُهُودِهِ، سَاهَمَ مَعَ عُلَمَاءِ الأَزْهَرِ فِي إِحْدَاثِ تَحَوُّلٍ حَضَارِيٍّ مَلْمُوسٍ، سَوَاءٌ فِي التَّعْلِيمِ أَوِ القَضَاءِ، مِمَّا جَعَلَهُ نَمُوذَجًا لِلعَالِمِ الأَزْهَرِيِّ المُسْتَنِيرِ، الَّذِي يَخْدِمُ مُجْتَمَعَهُ بِوَعْيٍ وَعِلْمٍ.

الكلمات المفتاحية: مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ الجَرْجَاوِيّ – الأَزْهَر – الإِصْلَاح – التَّجْدِيد – التَّعْلِيم – القَضَاء.

Muhammad Shakir al-Jirjawi
A pioneer of reform and renewal in thought and society
(1282/ 1358AH/1866-1939 AD)

Amr Muhammad Abu al-Futuh Muhammad Dabbah
Lecturer in the Department of History and Civilization, Faculty of Arabic Language, Girga, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt
Email: amrdabbah78@gmail.com

Abstract:

This study examines the biography of Sheikh Muhammad Shakir Al-Jirjawi, one of the prominent scholars of Al-Azhar, and his role in the educational and judicial renaissance in Egypt and Sudan. He was born in the city of Jirja and received his education at Al-Azhar, where he emerged as one of the pioneering scholars who sought to reform Al-Azhar and introduce modern sciences into its curriculum.

He also held prestigious judicial positions and had a sharp critical vision in the field of judiciary. His judicial reforms were considered the foundation of the modernization of Sharia courts in Egypt. Sheikh Muhammad Shaker contributed significantly to establishing principles of justice and integrity within the legal system, working to develop laws and legislations to ensure their flexibility and compatibility with societal needs while preserving the core tenets of Islamic Sharia.

Sheikh Shakir was distinguished by his enlightened thought, which influenced both elites and the general public. He played a crucial role in enriching Islamic thought during his era. When the 1919 Revolution erupted, Sheikh Muhammad Shakir had a prominent role in it, leading Al-Azhar scholars in their national movement. He became the driving spirit of the revolution and its religious and intellectual leader .

Through his efforts, he and his fellow Al-Azhar scholars contributed to a tangible civilizational transformation, whether in education or the judiciary. This made him a model of the enlightened Al-Azhar scholar, dedicated to serving his society with awareness and knowledge.

Keywords: Muhammad Shakir al-Jarjawi – Al-Azhar – Reform – Renewal – Education – Judiciary

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

يَأْتِي هَذَا البَحْثُ لِيُسَلِّطَ الضَّوْءَ عَلَى إِحْدَى الشَّخْصِيَّاتِ الرَّائِدَةِ فِي مِصْرَ الحَدِيثَةِ، وَهُوَ العَلَّامَةُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ الجَرْجَاوِيُّ، أَحَدُ أَعْلَامِ الأَزْهَرِ الشَّرِيفِ، وَمِنْ أَبْرَزِ أَبْنَاءِ مَدِينَةِ جِرْجَا الَّذِينَ بَلَغُوا أَعْلَى المَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ وَالقَضَائِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ المِصْرِيَّةِ، حَيْثُ تَوَلَّى مَنْصِبَ قَاضِي القُضَاةِ فِي السُّودَانِ.

وَلَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ شَاكِرٌ مُجَرَّدَ رَجُلِ قَضَاءٍ، بَلْ كَانَ صَاحِبَ مَشْرُوعٍ إِصْلَاحِيٍّ، حَمَلَ هَمَّ الأُمَّةِ، وَسَعَى لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الدِّينِ، وَالنُّهُوضِ بِمُؤَسَّسَاتِ العِلْمِ وَالعَدْلِ، وَكَانَتْ لَهُ مَوَاقِفُهُ الدِّينِيَّةُ وَالوَطَنِيَّةُ مَشْهُودَةً تُسَجَّلُ فِي صَفَحَاتِ الفَخْرِ بِتَارِيخِ مِصْرَ.

إِلَى كُلِّ مَنْ يَطْمَحُ فِي بِنَاءِ الغَدِ، وَيُؤْمِنُ أَنَّ لِلأُمَّةِ رِجَالًا يُضِيئُونَ الدَّرْبَ فِي أَحْلَكِ الظُّرُوفِ... إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَسْعَى إِلَى التَّمَيُّزِ وَالرِّيَادَةِ... أُقَدِّمُ هَذَا البَحْثَ، تَوْثِيقًا لِسِيرَةِ أَحَدِ البَارِزِينَ فِي مَسِيرَةِ الإِصْلَاحِ، مِمَّنْ كَانَ لَهُمْ أَثَرٌ بَارِزٌ فِي حَقَبَةٍ مِفْصَلِيَّةٍ مِنْ تَارِيخِ مِصْرَ وَالعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ.

أَهَمِّيَّةُ المَوْضُوعِ:

تَكْمُنُ أَهَمِّيَّةُ هَذَا المَوْضُوعِ فِي تَسْلِيطِ الضَّوْءِ عَلَى الدَّوْرِ الرِّيَادِيِّ لِلعَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ، الَّذِي دَعَا إِلَى كَسْرِ الجُمُودِ فِي الفَتْوَى، وَسَعَى إِلَى سَنِّ تَشْرِيعَاتٍ تُحَقِّقُ اليُسْرَ فِي المُجْتَمَعِ، مِمَّا أَسْهَمَ فِي تَجْدِيدِ الفِكْرِ الدِّينِيِّ. وَإِلَى جَانِبِ ذَلِكَ، أَحْدَثَ نَقْلَةً نَوْعِيَّةً فِي نِظَامِ القَضَاءِ بِالسُّودَانِ، وَأَسْهَمَ فِي تَطْوِيرِ التَّعْلِيمِ الأَزْهَرِيِّ، مِمَّا يَسْتَدْعِي الوُقُوفَ عِنْدَ إِصْلَاحَاتِهِ الَّتِي بَاتَتْ عَلَامَةً بَارِزَةً فِي تَارِيخِ مِصْرَ وَالسُّودَانِ، وَأَثَّرَتْ بِعُمقٍ فِي مَسِيرَتَيِ القَضَاءِ وَالتَّعْلِيمِ الأَزْهَرِيِّ.

وَمِنْ **أَسْبَابِ اخْتِيَارِ المَوْضُوعِ:**

أَوَّلًا: تَحْلِيلُ الإِصْلَاحَاتِ الَّتِي أَدْخَلَهَا الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ فِي النُّظُمِ وَالمَنَاهِجِ وَالمُؤَسَّسَاتِ الَّتِي تَوَلَّى إِدَارَتَهَا، وَبَيَانُ أَثَرِهَا فِي تَطْوِيرِ الأَدَاءِ المُؤَسَّسِيِّ، مَعَ

اسْتِنْبَاطِ الدُّرُوسِ وَالخِبْرَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ تَوْظِيفُهَا فِي مُوَاجَهَةِ التَّحَدِّيَاتِ الَّتِي تَشْهَدُهَا المُؤَسَّسَاتُ الدِّينِيَّةُ وَالتَّعْلِيمِيَّةُ وَالقَضَائِيَّةُ فِي وَاقِعِنَا المُعَاصِرِ.

ثَانِيًا: تَسْلِيطُ الضَّوْءِ عَلَى الأَثَرِ الإِيجَابِيِّ لِتِلْكَ الإِصْلَاحَاتِ وَانْعِكَاسِهَا عَلَى الوَاقِعِ العِلْمِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ فِي مِصْرَ وَالسُّودَانِ، وَاسْتِكْشَافُ امْتِدَادِ تَأْثِيرِهَا عَبْرَ الأَجْيَالِ، بِمَا يُحَقِّقُ فُرْصَةً حَقِيقِيَّةً لِلاسْتِفَادَةِ مِنَ التَّجْرِبَةِ الإِصْلَاحِيَّةِ الرَّائِدَةِ لِلشَّيْخِ فِي تَطْوِيرِ الحَاضِرِ وَبِنَاءِ المُسْتَقْبَلِ.

ثَالِثًا: الإِسْهَامُ فِي دَعْمِ الدِّرَاسَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الْمَعْنِيَّةِ بِحَرَكَاتِ الإِصْلَاحِ وَالتَّجْدِيدِ فِي العَالَمِ العَرَبِيِّ، مِنْ خِلَالِ تَقْدِيمِ نَمُوذَجٍ عَمَلِيٍّ وَمُؤَثِّرٍ فِي شَخْصِيَّةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ، بِمَا يُعَمِّقُ الفَهْمَ لِمَسَارَاتِ الإِصْلَاحِ وَيُثْرِي الخِطَابَ العِلْمِيَّ فِي هَذَا الْمَجَالِ.

مَنْهَجُ البَحْثِ وَخُطَّتُهُ:

تَعْتَمِدُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ عَلَى المَنْهَجِ التَّارِيخِيِّ التَّحْلِيلِيِّ، إِذْ تَتَبَّعُ مَسِيرَةَ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ، مَعَ تَحْلِيلِ الأَثَرِ الَّذِي أَحْدَثَهُ فِي المَجَالَاتِ الَّتِي اضْطَلَعَ بِهَا. وَقَدِ اسْتَنَدَتِ الدِّرَاسَةُ إِلَى مَصَادِرَ أَصِيلَةٍ، مِنْهَا المَصَادِرُ الأَوَّلِيَّةُ كَالمَخْطُوطَاتِ وَكُتُبِ التَّرَاجِمِ وَسِيَرِ الأَعْلَامِ، وَمَا كَتَبَهُ بَعْضُ المُعَاصِرِينَ عَنْهُ، خُصُوصًا ابْنَهُ العَلَّامَةَ أَحْمَدَ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ. كَمَا أَفَادَتِ الدِّرَاسَةُ أَيْضًا بِمَا سَطَّرَهُ حَفِيدُهُ أُسَامَةُ أَحْمَدَ شَاكِرٍ، وَقَدْ جَاءَ البَحْثُ – بَعْدَ المُقَدِّمَةِ – فِي تَمْهِيدٍ وَمَبْحَثَيْنِ وَخَاتِمَةٍ، عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

التَّمْهِيدُ: يَتَنَاوَلُ هَذَا المَحْوَرُ مَكَانَةَ عُلَمَاءِ الأَزْهَرِ فِي المُجْتَمَعِ المِصْرِيِّ، وَالمَوْلِدَ وَالنَّشْأَةَ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ، وَتَكْوِينَهُ العِلْمِيَّ، حَيْثُ يُلْقِي الضَّوْءَ عَلَى بِيئَتِهِ الأُولَى، وَتَطَوُّرِهِ وَنُبُوغِهِ فِي أَرْوِقَةِ الأَزْهَرِ الشَّرِيفِ.

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: يَتَنَاوَلُ أَدْوَارَهُ العِلْمِيَّةَ وَالإِصْلَاحِيَّةَ، حَيْثُ يُنَاقِشُ عَمَلَهُ فِي الفَتْوَى وَالقَضَاءِ، وَتَوَلِّيَهِ مَشْيَخَةَ عُلَمَاءِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَدَوْرَهُ فِي تَطْوِيرِ مَنْظُومَةِ الأَزْهَرِ، وَمَا قَدَّمَهُ مِنْ جُهُودٍ لِلإِصْلَاحِ دَاخِلَ هَذِهِ المُؤَسَّسَاتِ الدِّينِيَّةِ، مَعَ إِبْرَازِ أَثَرِهِ فِي الارْتِقَاءِ بِالتَّعْلِيمِ الأَزْهَرِيِّ وَتَحْدِيثِ مَنَاهِجِهِ.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: يَتَنَاوَلُ عَمَلَهُ وَكِيلًا لِمَشْيَخَةِ الأَزْهَرِ وَمَوَاقِفَهُ الدِّينِيَّةَ وَالسِّيَاسِيَّةَ، حَيْثُ يُبْرِزُ الفصل جُهُودَهُ حِينَ تَوَلَّى مَنْصِبَ وَكِيلِ مَشْيَخَةِ الأَزْهَرِ، كَمَا يُنَاقِشُ عُضْوِيَّتَهُ فِي المَجْلِسِ التَّشْرِيعِيِّ، وَمَوَاقِفَهُ التَّارِيخِيَّةَ فِي الدِّفَاعِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، إِلَى جَانِبِ إِسْهَامِهِ فِي ثَوْرَةِ ١٩١٩، ثُمَّ يُخْتَتَمُ الفَصْلُ بِتَنَاوُلِ إِرْثِهِ العِلْمِيِّ وَمُؤَلَّفَاتِهِ الَّتِي أَسْهَمَتْ فِي الحَرَكَةِ الفِكْرِيَّةِ فِي عَصْرِهِ.

الخَاتِمَةُ: وَتَشْتَمِلُ عَلَى أَبْرَزِ النَّتَائِجِ الَّتِي تَوَصَّلَتْ إِلَيْهَا الدِّرَاسَةُ، مَعَ تَقْدِيمِ التَّوْصِيَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُفِيدَ فِي مَجَالَاتِ البَحْثِ التَّارِيخِيِّ وَالفِكْرِيِّ حَوْلَ الشَّخْصِيَّاتِ الإِصْلَاحِيَّةِ.

وَإِنَّنِي، وَأَنَا أُقَدِّمُ هَذَا البَحْثَ، لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ وَفَّيْتُهُ حَقَّهُ قَدْرَ الإِمْكَانِ. فَإِنْ أَحْسَنْتُ، فَمِنَ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ –، وَإِنْ أَسَأْتُ، فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ.

التَّمْهيدُ:

١- مكانةُ عُلَماءِ الأَزْهَرِ في المُجتمَعِ المصريِّ:

يُعَدُّ الأَزْهَرُ الشَّريفُ أَكْبَرَ مَعْلَمٍ دِينِيٍّ وَعِلْمِيٍّ فِي العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ، وَمَنَارَةً فِكْرِيَّةً وَرُوحِيَّةً لِلْعُلَمَاءِ وَطُلَّابِ العِلْمِ عَبْرَ القُرُونِ. وَفِي رِحَابِهِ، تَرَعْرَعَتْ نُخْبَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ دَوْرٌ مَحْوَرِيٌّ فِي تَشْكِيلِ الوَعْيِ الدِّينِيِّ وَالوَطَنِيِّ، وَتَوْجِيهِ المُجْتَمَعِ، وَالدِّفَاعِ عَنْ هُوِيَّتِهِ وَقِيَمِهِ. وَمِنْ هَذِهِ القَامَاتِ العِلْمِيَّةِ البَارِزَةِ يَتَأَلَّقُ اسْمُ الشَّيْخِ مُحَمَّد شَاكِر الجُرْجَاوِي، الَّذِي جَمَعَ فِي شَخْصِيَّتِهِ بَيْنَ العِلْمِ وَالحِكْمَةِ، وَالأَصَالَةِ وَالتَّجْدِيدِ.

لقد نَالَ عُلَمَاءُ الأَزْهَرِ –فِي العُصُورِ المُخْتَلِفَةِ– مَكَانَةً رَفِيعَةً فِي المُجْتَمَعِ المِصْرِيِّ، حَيْثُ كَانُوا رَافِدًا رُوحِيًّا وَفِكْرِيًّا لِلدَّوْلَةِ، وَعُنْصُرًا فَعَّالًا فِي الإِصْلَاحِ وَالتَّوْجِيهِ، وَقُدْوَةً لِلعَامَّةِ فِي السُّلُوكِ وَالقِيمِ. وَقَدِ اسْتَمَدُّوا هَذِهِ المَكَانَةَ مِمَّا تَمَيَّزُوا بِهِ مِنْ عِلْمٍ رَاسِخٍ، وَتَفَانٍ فِي خِدْمَةِ الدِّينِ وَالمُجْتَمَعِ، فَكَانُوا الأَئِمَّةَ وَالقُضَاةَ وَالخُطَبَاءَ، وَاسْتَحَقُّوا حُبَّ الشَّعْبِ وَاحْتِرَامَ الحُكَّامِ.

وَفِي سِيَاقِ هذِهِ المَكَانَةِ، تَأْتِي دِرَاسَةُ شَخْصِيَّةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ الجُرْجَاوِي، لِتُسَلِّطَ الضَّوْءَ عَلَى نَمُوذَجٍ مُشْرِقٍ لِعَالِمٍ أَزْهَرِيٍّ جَمَعَ بَيْنَ العِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَأَثَّرَ فِي مَسَارِ التَّعْلِيمِ وَالقَضَاءِ وَالإِصْلَاحِ فِي مِصْرَ وَالسُّودَانِ، وَكَانَ لَهُ دَوْرٌ فَاعِلٌ فِي قَضَايَا الوَطَنِ وَنَهْضَتِهِ.

٢- مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ المَوْلِدُ وَالنَّشْأَةُ:

وُلِدَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ شَاكِرِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ القَادِرِ الجُرْجَاوِيُّ فِي مَدِينَةِ جِرْجَا عَامَ (١٢٨٢هـ / ١٨٦٦م)، فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ العِلْمِ وَالفَضْلِ. يَنْتَمِي إِلَى آلِ أَبِي عَلْيَاءِ مِنْ أَشْرَافِ الصَّعِيدِ، وَيَرْفَعُ نَسَبَهُ إِلَى الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

نَشَأَ فِي بِيئَةٍ عِلْمِيَّةٍ خَصْبَةٍ، حَيْثُ تَلَقَّى العُلُومَ بِجِرْجَا عَلَى يَدِ كِبَارِ العُلَمَاءِ [١]، وكانت جرجا في ذلكَ الوقت قِبلة للأنظار، ومقصدًا للعلماءِ والطلاب. وقد اشتهرت بكونها تحتضنُ مَا عُرفَ بـ " الأزهر الثاني"، الذي لم يَقِلَّ دورهُ أهميةً عن دَورِ الأزهرِ الشريفِ في القاهرةِ [٢].

كما بَلغتْ جَرجَا في القرنِ الثَّالثَ عَشرَ الهجري مكانةً عِلميةً مرموقةً في صَعيدِ مِصرَ، وبَرَزتْ مدارسها وجوامعها، حَيثُ كان كبارُ عُلمائِها يَحظَونَ بتقديرٍ واسعٍ لدى عُلماءِ الأزهرِ، حَتي قِيلَ "تغيبُ الفتوَى في كُل مَكانٍ ، وتُتطلبُ فِي جَرجَا" [٣].

هَكَذَا نَشأَ الشَّيخُ مُحمدُ شاكِر في رِحابِ العلمِ، مُتَأثرًا بِمكانةِ جَرجا العِلمِيةِ، مِما شَكلَ شخصيتهُ ليكون عَالِمٍ وَمُصلحٍ بارزٍ في عصرهِ.

---

(١) أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ: الجَامِعُ الصَّحِيحُ، وَهُوَ سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ لِأَبِي عِيسَى مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ سُورَةَ (٢٠٩-٢٧٩هـ / ٨٢٤-٨٩٢م)، تَحْقِيقٌ وَشَرْحٌ أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ، مَكْتَبَةُ مُصْطَفَى الحَلَبِيِّ، مِصْرَ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م)، مقدمة المحقق، ص٩٣، أُسَامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرُ: مِنْ أَعْلَامِ العَصْرِ، الطَّبْعَةُ الأُولَى، ٢٠٠١م، ص٩.

(٢) المراغي: محمد بن محمد بن حامد المراغي الجرجاوي (ت ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م): سُلافة الشَّراب الصافي البَكري في ترجمةِ علّامة جرجا بل علّامة الصعيد الشيخ عبد المنعم أبي بكر، تحقيق: أحمد حسين النمكي، مكتبة المهندس، سوهاج، ١٩٩٤م، مقدمة المحقق، ص٢٠، أَحْمَدُ حُسَيْنُ النَّمَكِيُّ: تَارِيخُ وِلَايَةِ الصَّعِيدِ فِي العَصْرَيْنِ المَمْلُوكِيِّ وَالعُثْمَانِيِّ، المُسَمَّى "نُورُ العُيُونِ فِي ذِكْرِ جِرْجَا مِنْ عَهْدِ ثَلَاثِ قُرُونٍ"، تَحْقِيقُ: أَحْمَدُ حُسَيْنُ النَّمَكِيُّ، مَكْتَبَةُ النَّهْضَةِ المِصْرِيَّةِ، القَاهِرَةُ، الطَّبْعَةُ الأُولَى، ١٩٨٨م.ص ٢٠.

(٣) المراغي: خلاصة تعطير النواحي والأرجاء بذكر من اشتهر من علماء وأعيان مدينة الصعيد جرجا، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٥٥١٧ "تاريخ"، ميكروفيلم ١٦٤٠، ج ٣، ص ٩٨. أحمد حسين النمكي: المرجع نفسه، ص ٢٠، ٢٣، ٣٩.

٣- تطوُّره ونُبُوغُهُ في أروقةِ الأزهرِ:

انتقل الشيخُ محمد شاكر من مدينةِ جرجا إلى القاهرةِ عـــام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م لطلبِ العلمِ بالجامعِ الأزهرِ، حيث نهلَ من علومهِ على أيدي كبـــارِ العلمـــاء فـــي عصرهِ من بينِهم شيخهُ المفَّضلُ، محمد العبَّاســـيُّ المهـــديُّ (١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م – ١٣١٥هـ / ١٨٩٨م) [١]، والإمامُ محمـــدٌ عبـــده (١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م – ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) [٢]، وكلاهُما تولى منصب الإفتاء في الديارِ المصرية، بالإضافة إلى نخبةٍ من العلماءِ الأخرينَ. وقد تألَّقَ نبوغُهُ في أروقةِ الأزهرِ، حيثُ اشْتُهِرَ بينَ أقرانـــهِ أثناءَ فترةِ تحصيله العلميّ بتفوقِه عليهم في علومِ المنطق والفلسفةِ وســـائر العلـــوم

---

(١)الإمامُ محمَّدُ بنُ محمَّدِ أمينَ بنِ محمَّدٍ المهديِّ العباسيِّ الحنفيُّ، أحدُ أبـــرزِ أعـــلامِ الأزهـــرِ الشريفِ في القرنِ التاسعِ عشرَ. وُلِدَ في الإسكندريةِ، وأتمَّ حفظَ القرآنِ في الأزهـــرِ. تلقَّـــى عُلومَهُ على يدِ كبارِ المشايخِ، مثلِ السقَّا والرَّشيديِّ، وبَرَعَ في العُلومِ الشرعيَّةِ واللُّغويَّةِ، حتى أصبحَ مَضربَ المَثَلِ في الفقهِ واللغةِ. تولَّى مَشيخةَ الأزهرِ مرَّتينِ (١٨٧٠-١٨٧٢م)، وكانَ أوَّلَ مَن جَمَعَ بينَها وبينَ منصبِ الإفتاءِ، كما كانَ أوَّلَ مَن وضعَ نِظامَ امتحانـــاتِ التَّـــدريسِ بالأزهرِ. تميَّزتْ فترتُهُ في مَشيخةِ الأزهرِ بإعادةِ رواتبِ العلماءِ، وإصلاحِ نظامِ التَّـــدريسِ، والحفاظِ على استقلاليَّةِ الأزهرِ. عُرِفَ بحزمِهِ وصَرامتِهِ في تَطبيقِ الشَّرعِ، وبدقَّتِهِ في اختيارِ القُضاةِ والعُلماءِ. تركَ تراثًا عِلميًّا وإداريًّا كبيرًا، يُعَدُّ من خلالِه أحدَ أهمِّ مُجدِّدي الأزهرِ فـــي العصرِ الحديثِ.محمد عبد المنعم خفاجي، على على صبح: الأزهر في ألف عـــام، مكتبـــة الأزهر التراثية، الطبعة الثالثة ٢٠٠٩م،ج٢، ص ٧٢-٧٤.

(٢) يُعَدُّ الإِمَامُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ مِنْ أَبْرَزِ دُعَاةِ التَّجْدِيدِ وَالإِصْلَاحِ فِي العَصْرِ الحَدِيثِ. وُلِدَ فِـــي قَرْيَـــةِ مَحَلَّةِ نَصْرٍ بِمُحَافَظَةِ البَحِيرَةِ، وَتَلَقَّى تَعْلِيمَهُ فِي الأَزْهَرِ الشَّرِيفِ. تَأَثَّرَ بِجَمَالِ الدِّينِ الأَفْغَـــانِيِّ وَشَارَكَ فِي الحَرَكَةِ الوَطَنِيَّةِ. تَوَلَّى مَنْصِبَ مُفْتِي الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ وَالقَضَاءِ، وَسَعَى إِلَى إِصْلَاحِ التَّعْلِيمِ وَالقَضَاءِ، كَمَا دَعَا إِلَى فَهْمِ النُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ بِرُوحِ العَصْرِ. مِنْ أَبْرَزِ مُؤَلَّفَاتِهِ رِسَـــالَةُ التَّوْحِيدِ وَالإِسْلَامُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ بَيْنَ العِلْمِ وَالْمَدَنِيَّةِ. محمد عبد المنعم خفاجي، علي على صـــبح: الأزهر في ألف عام، ج٣، ص ٦٩، ٧٠.

العقلية، ولم يكتفِ بذلك، بل كان يُدرسُ لبعضِ زملائه هذه العلومَ وهو لا يزل تلميذًا معهم [١].

وقد بَدَت عليهِ مبكرًّا علاماتُ النبوغِ وسمات الذكاءِ، ممزوجةً بِلباقةِ القولِ، وفصاحةِ اللسانِ، وحُسنِ البلاغةِ والبيانِ. وبفضلِ هذهِ الصفات أتم تعليمهُ الأزهريَّ بجدارةٍ [٢].

(١) أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ: الجَامِعُ الصَّحِيحُ، ص ٩٣، يُوسُفُ المَرْعَشْلِيُّ: نَثِيرُ الجَوَاهِرِ وَالدُّرَرِ فِي عُلَمَاءِ القَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ، دَارُ المَعْرِفَةِ، بَيْرُوت – لُبْنَان، الطَّبْعَةُ الأُولَى، ٢٠٠٦م، ج ٢، ص ١٢١٩.

(٢) يوسف المرعشي: المرجع نفسه والجزء والصفحة، هَيْئَةُ كِبَارِ العُلَمَاءِ: سِيَرُ أَعْلَامِ هَيْئَةِ كِبَارِ العُلَمَاءِ القُدَامَى، مَوْقِعُ الأَزْهَرِ الشَّرِيفِ، مُتَاحٌ عَلَى:
https://www.azhar.eg/scholars-tarajum/13_muhammad_shaker_al-jerjawi

اَلْمَبْحَثُ اَلْأَوَّلُ:

الدَّوْرُ الإِصْلَاحِيُّ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ فِي الفَتْوَى وَالقَضَاءِ وَالتَّعْلِيمِ الأَزْهَرِيِّ:

أولا: دَوْرُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ فِي تَطْوِيرِ الفَتْوَى فِي المَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ.

ومن حُسنِ طَلَعهِ أنَّ شَيخهُ، محمد العباسيَّ، تبينَ نُبُوغَهُ وتميزهُ، فاختارهُ كاتبًا لدارِ الإفتاء، فكانَ هذا الاختيارُ باكورةَ ظهورِ نَجمِهِ وبدايةَ صعودهِ في سُلَّمِ المجدِ والمناصبِ الرفيعةِ(١).

وَاللافِتُ للانتباهِ، أنَّهُ على حَداثةِ سنهِ، كانَ ينوبُ عن المُفتِي في مناقشةِ أحكامِ المحاكمِ الشرعيَّةِ، ويبدي لِقُضَاتها مُلاحظاتٍ دقيقةً، تدلُّ على سِعةِ اطلاعهِ وقوةِ حُجتهِ، ممَّا جعلهُ موضع إعجابِ كل من عَرفهُ (٢).

ولقد عُينَ محمد شاكر أمينًا للفتوى عام١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م (٣)، وعمرهُ ستَّةٌ وعشرونَ عامًا. ويعدُّ هذا التعيينُ خطوةً جريئةً؛ لأنَّ منصبَ أمين الفتوي منصبٌ حَسَّاسٌ يتطلبُ عِلمًا واسعًا بالنصوص الشرعيةِ وفقهِ الواقعِ، إضافة إلى ثقة أصحاب القرارِ في قُدراتهِ على موازنهِ بين الثابتِ الدينيَّ والمتغير الاجتماعيّ. وقد نجحتْ نظرةُ أستاذهِ محمد العباسي في تلميذهِ النجيب، وصدقَ حسنُ توقعهِ بأنهُ مؤهلٌ للمناصب القيادية، فان لهذا الاختيار ما يبررهُ من تميزٍ وعلمٍ راسخٍ.

ولَعَلَّهُ مِنَ المُنَاسِبِ هُنَا الإِشَارَةُ إِلَى ظُهُورِ المُيُولِ الإِصْلَاحِيَّةِ لَدَى الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ، وَسَعْيِهِ نَحْوَ التَّجْدِيدِ فِي الفُتْيَا وَالفِقْهِ وَالقَضَاءِ، إِذْ تَجَلَّى ذَلِكَ بِوُضُوحٍ

---

(١) أحمد محمد شاكر: المصدر السابق والصفحة، يوسف المرعشلى: نثير الجواهر والدرر، ج٢، ص١٢١٩.

(٢) يوسف المرعشلى: المرجع السابق والجزء والصفحة.

(٣) أحمد محمد شاكر: المصدر نفسه والصفحة، أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص٩، محمد عبد المنعم خفاجي، على على صبح: الأزهر في ألف عام ،ج٣، ص٩٤، مُحَمَّدٌ كَامِلُ الفَقِي: الأَزْهَرُ وَأَثَرُهُ فِي النَّهْضَةِ الأَدَبِيَّةِ الحَدِيثَةِ، المَطْبَعَةُ المُنِيرِيَّةُ بِالأَزْهَرِ الشَّرِيفِ، القاهرة،ج٢، ص ١٨٢.

حِينَ كَانَ يَشْغَلُ مَنْصِبَ أَمِينِ الفُتْوَى. فَقَدْ وَرَدَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ شَابَّةٌ تَشْكُو مِنْ أَنَّ زَوْجَهَا قَدْ حُكِمَ عَلَيْهِ بِالسِّجْنِ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَهِيَ تَخْشَى الوُقُوعَ فِي الفِتْنَةِ بِسَبَبِ طُولِ غِيَابِهِ. فَطَلَبَتْ مِنَ الشَّيْخِ أَنْ يُبْدِيَ رَأْيًا شَرْعِيًّا فِي أَمْرِهَا، لَعَلَّهَا تَتَزَوَّجُ بِرَجُلٍ آخَرَ يَعْصِمُهَا. إِلَّا أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ شَاكِرٍ صَرَفَهَا مُعْتَذِرًا آسِفًا مُتَأَلِّمًا، إِذْ كَانَتِ الأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ مُقَيَّدَةً بِمَذْهَبِ الإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالعُلَمَاءُ المُقَلِّدُونَ يَرَوْنَ الخُرُوجَ عَلَى المَذْهَبِ مُنْكَرًا [١]، وَلَمْ يَكُنْ فِي مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ مَا يُجِيزُ لِلقَاضِي أَنْ يُطَلِّقَ زَوْجَةَ المُعْسِرِ أَوِ المَحْبُوسِ.

وَلَكِنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ شَاكِرٍ، الَّذِي كَانَ يَتَمَتَّعُ بِرُوحٍ إِصْلَاحِيَّةٍ وَثِقَةٍ بِرَأْيِهِ، عَرَضَ الأَمْرَ عَلَى المُفْتِي وَاقْتَرَحَ عَلَيْهِ اقْتِبَاسَ بَعْضِ الأَحْكَامِ مِنْ مَذْهَبِ الإِمَامِ مَالِكٍ، الَّذِي يَتَّسِعُ لِمِثْلِ هَذِهِ الحَالَاتِ. إِلَّا أَنَّ المُفْتِي أَبَى هَذَا الاقْتِرَاحَ، وَمَعَ ذَلِكَ، بَقِيَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ شَاكِرٍ وَاثِقًا بِرَأْيِهِ، مُؤْمِنًا بِصِحَّتِهِ وَفَائِدَتِهِ لِلنَّاسِ [٢].

وتكشف هذهِ الواقعةُ عن نزعةِ الشيخِ محمد شاكر الإصلاحية، إذ لم يكن مجردَ فقيه تقليدي يلتزمُ بما استقر عليه المذهبُ الحنفي، بل يدرك أهمية الاجتهاد لمواكبةِ تغُّيراتِ الواقعِ وتلبيةِ حاجاتِ الناس الملحةِ. ويتضحُ أيضا أنه يملك شجاعةً فكرية في طرح رؤى بديلةٍ تستندُ إلى مذاهبَ فقهيهٍ أخرى، وهوما يعكس فُهمهُ العميقَ لمقاصدِ الشريعةِ، التي تقومُ على رفعِ الحرجِ وتحقيق العدلِ.

إلا أنَّ تمسكَ المفتي –الشيخ محمد العباسي – بالتقليدِ وعدم تقبله للاجتهاد، كان عائقاً أمام أي محاولةٍ للتغيِّيرِ. فالموقف الذي تبناهُ المفتي يعكسُ الخوفَ منَ الابتعادِ عنِ المذهبِ المعتمدِ، حتى لو كانَ ذلك على ذلكَ على حسابِ التيسيرِ على الناسِ. [٣].

---

(١) أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ: نظام الطلاق في الإسلام، مكتبة السنة، ص٨.

(٢) أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص١٠.

(٣) أسامة أحمد شاكر: المرجع السابق والصفحة.

ورغمَ رفضِ اقتراحهِ، فإنَّ ثبات الشيخِ محمد شاكرٍ على رأيهِ وإيمانهِ العميقَ بضرورةِ الاجتهادِ يضعهُ في مصاف العلماءِ المجددينَ، الذين سعوا إلى التوفق بين ثوابت الشريعةِ ومتغيرات العصرِ، وهو ما يمثلُ جوهرَ الإصلاح الديني الحقيقيّ.(١).

ثانيا: دَوْرُهُ الإِصْلَاحِيُّ فِي القَضَاءِ الشَّرْعِيِّ.

لم يكن توليه منصبَ أمينِ الفتوى إلا تَمهيدًا طبيعيًا لارتقائهِ إلى مرتبة أعلى، حيثُ نُقِلَ بعدَ ذلكَ إلى منصبِ نائبِ رئيس محكمةِ القليوبية، وقد صدر الأمر العالي بذلكَ عام ١٣١١هـ/ ١٨٩٤م(٢)، وقد أمضى الشيخُ محمد شاكر أكثر من ست سنواتٍ في منصبِ نائب رئيس المحكمة، وخلالَ هذهِ الفترةِ أُتيحت لهُ الفرصةُ للاطلاع عن كثبٍ على أوضاع المحاكم الشرعية، فوقفَ على كثيرٍ من أوجهِ القصورِ والمشكلاتِ التي تُعاني منها المحاكمِ الشرعيةِ. ومن خلال ملاحظاته الدقيقة، توصل إلى ضرورة إجراء إصلاحات جوهرية يمكن تصنيفها-بلغة عصرنا الحالي-ضمن أربع محاور رئيسية:

١- الإصلاح التشريعي:

- أرهقتْ المحاكمُ المتقاضينَ بأحكامها بسبب التقيد الصَّارمِ بمذهبِ أبي حنيفة، دُونَ الالتفاتِ إلى المذاهبِ الأخرى التي قد تحققُ العدالةَ بشكلٍ أكثرَ مرونةً في بعضِ المسائل، فضلا عن التمسكِ بحرفيةِ ألفاظ مذهب أبي حنيفة، على حسابِ المقاصدِ الحقيقيةِ للشريعةِ .
- تعقيدِ الإجراءاتِ وطُولِ أمدِ التقَاضِي، الأمر الذي أثقل كاهل المتقاضينَ وأدي إلى إهدار حُقُوقهم.

٢-العنصر البشري في الجهاز القضائي:

- سوءُ اِختيارِ بعضِ القضاةِ وموظفي المحاكمِ.

---

(١) أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص١٠.

(٢) أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ: الجَامِعُ الصَّحِيحُ ، ص٩٤.

٣-المرافق والتجهيزات:

●تدهورُ مقَارها وتأثيثِهَا من حيث المباني والتجهيزاتِ والحفظِ وغيرهَا [١].

٤-مكانة منظومة القضاء الشرعي في بنية الدولة وهيكلها.

●إهمال الحكومات المصرية للعناية بكيانها، اتباعاً لسياسة مرسومة في القضاء عليها، تقليد للغربيين ولمن أشربوا آراءهم [٢].

جهودُ الشيخِ محمد شاكر في إصلاحِ القضاءِ الشرعي

موقفهُ منَ الإصلاحِ:

والأمر المثير للاهتمام، أن الشيخ محمد شاكر لم يكتفِ بالنقدِ، بل قدَّمَ تقريرًا مُفصلًا إلى الشيخِ محمد عبده، مفتي الديارِ المصريةِ آنذاك، حيثُ كشفَ أوجهَ القُصورِ والمشكلاتِ التي تُعاني منها المحاكمُ، فقد أبرزَ العُيوبَ الجوهريَّةَ في القُضاةِ ونظامِ التقاضي والتشريعاتِ المُطبقةِ، كما انتقدَ اللائحةَ القضائيَّةَ التي كانت ساريةً في ذلكَ الوقتِ، وبيَّنَ نِقاطَ الخللِ فيها، فقدمَ مقترحاتٍ إصلاحيَّةً تفصيليَّةً، كان من أبرزِها الاقتباسُ من مذهبِ الإمامِ مالكٍ مثلِ: التطليق للإعسارِ والضررِ والغيبةِ الطويلةِ وغيرِ ذلك[٣].

ويَتَضِحُ مِن مَوقِفِ الشيخِ محمد شاكر أنَّهُ كانَ رجلًا إصلاحيًّا يمتلكُ رُؤيةً نقديَّةً ثاقبةً، فلم يكن يُعارضُ المحاكمَ الشرعيَّةَ لذاتها، بل كان يطمحُ إلى تحديثِها وتطويرِها بما يُحقِّقُ العدلَ. كما أنَّ اقتراحَهُ بالاستفادةِ من مذهبِ الإمامِ مالكٍ يعكسُ منهجًا وسطيًّا عقلانيًّا، يقومُ على توظيفِ الاجتهادِ الفقهيِّ في معالجةِ المُشكلاتِ الواقعيَّةِ، ويعكسُ سَعيَهُ لتحقيقِ العدالةِ والمرونةِ في الأحكامِ، علاوةً على أنَّ نقدَهُ لتأثيرِ الأفكارِ الأجنبيَّةِ على سياساتِ الحكوماتِ المصريَّةِ يدلُّ على وعيه بأهميَّةِ الحفاظِ على الهويَّةِ الإسلاميَّةِ مع السعيِ للإصلاحِ. كما أنَّ تقديمَهُ تقريرَهُ إلى محمد

---

(١) أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص١٠، ١١.

(٢) المرجع السابق، ص١١.

(٣) المرجع نفسه والصفحة.

عبده، المعروفِ بدعوتِه الإصلاحيَّةِ، يشيرُ إلى أنَّ الشيخَ محمد شاكر كان جُزءًا من تيَّارٍ إصلاحيٍّ يسعى إلى تحديثِ مؤسساتِ الدولةِ بما يتوافقُ مع الشريعةِ الإسلاميَّةِ ومتطلَّباتِ العصرِ.

ويُعدُّ هذا التقريرُ باكورةَ العملِ الصحيحِ في إصلاحِ المحاكمِ الشرعيَّةِ والرقيِّ بها لتبلغَ مقامَها السامي في الإسلام.

توافُقُ رؤيةِ الإمامِ محمدٍ عبده مع الشيخِ محمدٍ شاكرَ في إصلاحِ القضاءِ

تميَّزَ عصرُ الشيخِ محمدٍ عبدهُ بمحاولاتٍ جادَّةٍ لإصلاحِ المؤسَّساتِ الإسلاميَّةِ، خاصَّةً في مجالِ القضاءِ والتعليمِ. وقد كانَ لمحمدٍ عبدهُ دورٌ بارزٌ في إصلاحِ المحاكمِ الشرعيَّةِ، إذْ سعى إلى تقويمِ نظامِ القضاءِ الإسلاميِّ ليكونَ أكثرَ عدالةً وكفاءةً [١].

وَتَجَسَّدَ اهْتِمَامُ الأُسْتَاذِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهُ بِالْمَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ فِي أَوْجُهٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا قِيَامُهُ سَنَةَ ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م بجولةٍ في محاكمِ الوجهِ البحريِّ، ليقفَ على سيرِ الأعمالِ بها، ويضعَ لها العلاجَ المناسب بحكمتِه [٢].

وبعد ذلك، وضعَ هو أيضًا تقريرَهُ المشهورَ في إصلاحِ المحاكمِ، وجاءَ فيهِ كثيرٌ منَ الأفكارِ المُتَّفِقَةِ مع تقريرِ الشيخِ محمدٍ شاكرٍ، فضلا عن ذلك، أشار في مرافعاته إشارة عامة في الأخذ بشيء من أحكام المذاهب الأخرى، ممَّا يُبيِّنُ تطابُقَ الرؤى بينَ الأستاذِ الإمامِ وتلميذِه في النقدِ والإصلاحِ [٣]، ويؤكِّدُ أنَّهما كانا ضمنَ تيَّارٍ إصلاحيٍّ واحدٍ يسعى لتحديثِ مؤسَّساتِ الدولةِ وفقَ أُسسٍ إسلاميَّةٍ راسخةٍ.

---

(١) السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ رَشِيدٌ رِضَا: تَارِيخُ الأُسْتَاذِ الإِمَامِ، الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ، دَارُ الفَضِيلَةِ، ٢٠٠٦م. ج١، ٤٩٣، ٥٦٧، أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص ١١.

(٢) المرجع السابق، ص ١١.

(٣) أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص ١١.

ثالثا: مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ الجَرْجَاوِيُّ قَاضِي قُضَاةِ السُّودَانِ:

وَقَعَ الاخْتِيَارُ عَلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ لِتَعيينِهِ قَاضِي قُضَاةِ السُّودَانِ بِتَزْكِيَةٍ مِنَ الإِمَامِ مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ، الَّذِي رَأَى فِيهِ بِثَاقِبِ نَظَرِهِ القُدْرَةَ عَلَى الإِصْلَاحِ وَالتَّجْدِيدِ فِي السُّودَانِ. فَصَدَرَ الأَمْرُ العَلِيُّ مِنَ الحُكُومَةِ المِصْرِيَّةِ بِتَعْيِينِهِ قَاضِيَ قُضَاةِ السُّودَانِ عَامَ ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م لِيَكُونَ أَوَّلَ مِصْرِيٍّ يَتَوَلَّى هَذَا المَنْصِبَ الرَّفِيعَ فِي السُّودَانِ. وَكَانَ عُمْرُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ آنَذَاكَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ عَامًا[١].

الإِصْلَاحَاتُ التَّشْرِيعِيَّةُ وَالقَضَائِيَّةُ:

حِينَ تَسَلَّمَ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ مَهَامَّهُ، كَانَ النِّظَامُ القَضَائِيُّ فِي السُّودَانِ يُعَانِي مِنَ الفَوْضَى؛ بِسَبَبِ انْهِيارِ النُّظُمِ وَالقَوَانِينِ خِلَالَ الثَّوْرَةِ المَهْدِيَّةِ (١٨٨١ -١٨٩٩م) [٢]، مَا أَتَاحَ لَهُ فُرْصَةَ وَضْعِ نِظَامٍ جَدِيدٍ لِلمَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ وَفْقَ أُسُسٍ دَقِيقَةٍ. فَقَدْ...

---

(١) أحمد محمد شاكر: الجامع الصحيح، ص٩٤، أسامة أحمد شاكر: المرجع السابق، ص١١، أُسَامَةُ السَّيِّدِ مَحْمُودِ الأَزْهَرِيِّ: جُمْهَرَةُ أَعْلَامِ الأَزْهَرِ فِي القَرْنَيْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ وَالخَامِسِ عَشَرَ الهِجْرِيَّيْنِ، مَكْتَبَةُ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، ٢٠١٩، ،ج٤، ص ٢٢٧.

(٢) هي حركة دينية سياسية صلاحية ظهرت في السودان في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، أسسها محمد أحمد بن عبد الله (١٨٤٤- ١٨٨٥م) الذي أعلن نفسه " المهدي المنتظر" في عام ١٨٨١م ، مستندًا إلى ما رآه من فساد ديني واجتماعي، وظلم سياسي تمارسه الإدارة التركية –المصرية الحاكمة للسودان آنذاك .وقد نادت الحركة بمقاومة الهيمنة الأجنبية، خاصة الحكم الثنائي(التركي- المصري)المدعوم بريطانيًا. حظيت الثورة بتأييد واسع بين القبائل والعلماء والعامة، وحققت انتصارات عسكرية متوالية أبرزها سقوط الخرطوم عام ١٨٨٥م، ومقتل الجنرال البريطاني غوردون باشا، ما مهّد لإعلان الدولة المهدية وعاصمتها أم دورمان. وقد واجهت الدولة المهدية تحديات داخلية وخارجية، انتهت بسقوطها في معركة أم دورمان عام ١٨٩٩م، على يد قوات الحملة الإنجليزية المصرية بقيادة اللورد كتشنر. أحمد شلبي: التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م، ج٦، ص ٣٦٧- ٣٨٣.

●وضعَ نِظامًا دقيقًا للمحاكمِ الشرعيةِ، وسنَّ القوانينَ واللوائحَ الازمةَ لِلَّإجراءاتِ القضائيةِ.

●قامَ بتعيينِ قُضاةٍ جُددٍ في مراكز مختلفةٍ بالسودانِ، وأعاد تعيينَ القضاةِ الشرعيين الذينَ كانوا في مناصبهم قبلَ وصولهِ، مع إصدارِ إذنً لكُلّ واحد منهم لممارسةِ أعمالِهمُ الشرعيةِ والاعترافِ بالأحكامِ التي أصدرهَا سابقًا. وبهذا حرصَ على استقلال القضاءِ، حيثُ لم يعترف بتعييناتِ القضاةِ السابقينَ إلا بعدَ إعادة تَعيينِهم رسميًّا مِنْ قِبَلِهِ.

●اقتبسَ من المذاهبِ الإسلاميةِ ما يلبي احتياجاتِ القضاءِ، معتمدًا على أدلةِ الشَّرعِ وفقههِ الصَّحيحِ، لا سيَّمَا في قضايا اللاقِ للغيبةِ، والضررِ، والحبسِ، وهيَ الإصلاحاتُ التي أخذت بها مِصر لاحقًا في قانون ٢٠ لسنة ١٩٢٠م.

●وضع قواعد دقيقة للإجراءات القضائية، استُوحِي منها لاحقًا اللائحةُ التي صَدَرت سنة ١٩١٠، مما جعلَ السودان يتفوقُ على مصرَ في الإصلاحِ التشريعيّ بفارق عشرينَ عامًا في بعض النَّواحي(١).

قصارى القول، أن الشيخ محمد شاكر كانَ شديد الحرصِ على استقلالِ شخصيتهِ وسلطَتِهِ كقاضي قضاة مصري ّمعين بأمر من الحكومةِ المصرية، وغير خاضعٍ غير خاضع للإدارة السودانية إلا في نطاقِ التقاليدِ الأدبيةِ. وقد مثَّلَ في السودانِ الرئيسَ الدّينيَّ الجريءَ، الذي يستمدُّ سُلطَتَهُ من الخديويّ المصري. ولقد ظل الشيخُ محمد شاكر في منصبهِ أربع سنواتٍ، أحدث خِلالها نقلة نوعية في القضاءِ الشرعي في السودان(٢)، مما رفع من شأن الأزهر في البلاد السودانية، وجعلهُ أحدَ روادِ الإصلاحِ التشريعي في السودان.

---

(١) أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص ١١، ١٢، محمد كامل الفقي: الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة،ج٢، ص ١٨٣.

(٢) محمد كامل الفقي: المرجع السابق والجزء والصفحة.

من حصادِ ما تقدَّم يتضح أنَّ أهلَ الإصلاحِ والتجديدِ عندما تُتاحُ لهمُ الفرصةُ ويمنحونَ الأدواتِ التنفيذيةَ، فإنهم يُحققونَ فارقًا حقيقيا في المجتمعِ. فرغم عدم تمكن الإمام محمد عبده من تطبيق أفكارهِ الإصلاحية مباشرةً، إلا أنهُ استطاع تحقيقها من خلالِ ترشيحِ أشخاص مُؤهلينَ لمناصبَ مُؤثرةٍ. الشيخ محمد شاكر بدورهِ، استغل غِيابَ القيودِ التقليديةِ في السودانِ ليضعَ نظامًا قضائيًّا متطورًا أحدث تأثيرًا تجاوزَ حدود الجغرافية.

على أية حال، فإنَّ غايتنا تنصبُّ في الواقع على إبرازِ الدور الذي يُمكنُ أن يلعبهُ المصلحونَ في إعادةِ تشكيلِ النُّظمِ الاجتماعيةِ والقضائيةِ، خاصةً في فتراتِ الفراغِ السياسيِّ والإداريِّ. كما تُظهرُ أنَّ التعاونَ بينَ المُصلحينَ والسُّلطاتِ الحاكمةِ يُمكنُ أن يُؤديَ إلى تحقيقِ إصلاحاتٍ تُحدثُ فارقًا كبيرًا في المجتمعِ.

كما يؤكدُ هذا المثالُ أنَّ الإصلاحَ لا يعتمدُ فقط على الأفكارِ، بل يَحتاجُ إلى مَواقعَ تَنفيذيةٍ تُمكنُ من تَطبيقها عَمليًّا. وعندما يَجدُ المُجددونَ فُرصةً مُناسبةً، فإنهم لا يقتصرونَ على إصلاح مواقعه، بل يَسبِقونَ غيرهم بفارقٍ زمنيّ، كما حَدَثَ في التشريعاتِ القضائيةِ بينَ السودانِ ومِصرَ.

موقفُ الشيخِ محمدِ شاكرٍ من النفوذِ البريطانيِّ في السودانِ.

لم يقتصر دور الشيخ محمد شاكر على إصلاح المحاكم الشرعية بالسودان، بل واجهَهَ النُّفوذَ البريطانيَّ في السودانِ بثباتٍ وعزيمةٍ. ففي عام ١٩٠٢، قامَ القاضي الشرعيُّ لمنطقة (الرباط) بأخذِ إجازةٍ دُون إبلاغِ الشيخ محمد شاكر. وعندما علم بذلكَ، بادر على الفورِ بمراسلةِ السكرتيرِ القضائي البريطانيّ لإخطارهِ بوقُعِ هذا التجاوزِ، كما أرسلَ برقيةً إلى قاضي الدامر يفوضهُ فيها بمباشرةِ الأحكامِ الشرعيةِ في محكمةِ (الرباط) خلالَ فترةِ غيابِ القاضي. ظنَّ السكرتيرُ القضائيُّ أن هذهِ الحادثةَ تُشكلُ فُرصةً مناسبةً لِتحقيقِ أهدافهِ السياسيةِ، فكتبَ إلى الشيخ محمد شاكر يُلمحُ إلى أن محكمةَ العُموم –التي يترأسها الشيخ محمد شاكر بصفتهِ قاضي قُضاةِ السودانِ – تَتَجِهُ نحوَ التدخلِ الإداريّ في شُؤونِ المحاكمِ التَابعةِ لها. كما

أوضح في رسالتهِ أنه شُصيًّا يتجنبُ التدخلَ في استقلالِ محكمةِ العمومِ، معربًّا عن رغبتهِ في أن يُراعي الشيُ محمد شاكر هذا الأمرَ بالمثلِ (١).

لكن الشيخ محمد شاكر لم يقبل بهذهِ الإملاءاتِ، وردَّ برسالةٍ مُطولةٍ عبَّر فيها عن رفضهِ القاعِ لهذا النَّهجِ، وتمها بعبارةٍ حاسمةٍ: "**أرجو أن تُعِيدوا النظرَ في هذه المُلاحظاتِ، وتدركوا موضعها حقَّ قدرها، فإن بقاءها على حَالها يُفقدُ الكثيرَ من الثِّقةِ التي هي عِمادُ الاشتراكِ في المصالحِ، والتي إن فقدَ المُوظفُ جُزءًا منهـا، فخيرٌ لهُ أن يَفقدَ مَنصبهُ لِيُحافظَ عليها. وأنا أوّلُ رجُلٍ يَسْخُو بمركزهِ فـي سـبيلِ الثقةِ بالنَّفس**". (٢).

يعكس موقف الشيخ محمد شاكر ثلاث جوانب رئيسية:

١-الصَّلَابَةُ فِي الحَقِّ وَالاسْتِقْلَالِيَّةُ فِي القَرَارِ:

لَمْ يَسْمَحِ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ بِأَيِّ تَدَخُّلٍ فِي صَـلَاحِيَّاتِهِ، بَـلْ وَاجَـهَ النُّفُـوذَ البِرِيطَانِيَّ بِثِقَةٍ، وَأَكَّدَ عَلَى ضَرُورَةِ احْتِرَامِ اخْتِصَاصَاتِ مَحْكَمَـةِ العُمُـومِ الَّتِـي يَرْأَسُهَا.

٢-الحِنْكَةُ الإِدَارِيَّةُ وَالمُنَاوَرَةُ الذَّكِيَّةُ:

لَمْ يَقْتَصِرْ رَدُّ الشَّيْخِ عَلَى الرَّفْضِ، بَلِ اسْتَخْدَمَ أُسْلُوبًا دِبْلُومَاسِيًّا يُبْرِزُ إِدْرَاكَهُ العَمِيقَ لِأَبْعَادِ المَوْقِفِ، مِمَّا جَعَلَهُ يُقَلِّبُ الطَّاوِلَةَ عَلَى السِّكْرِتِيرِ القَضَائِيِّ البِرِيطَانِيِّ.

٣-الإِيمَانُ بِالمَبَادِئِ قَبْلَ المَنَاصِبِ:

أَوْضَحَ الشَّيْخُ أَنَّ المَبَادِئَ أَهَمُّ مِنَ المَنَاصِبِ، وَأَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لِلتَّضْـحِيَةِ بِمَوْقِعِـهِ لِلحِفَاظِ عَلَى اسْتِقْلَالِهِ وَثِقَتِهِ بِنَفْسِهِ.

الأَثَرُ العِلْمِيُّ وَالإِصْلَاحِيُّ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ فِي السُّودَانِ:

شَكَّلَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ عَلَامَةً فَارِقَةً فِي تَارِيخِ السُّودَانِ، حَيْثُ كَـانَ عَالِمًـا مُصْلِحًا وَقَاضِيًا مُسْتَنِيرًا، اسْتَحْدَثَ مِنَ التَّشْرِيعَاتِ الجَدِيدَةِ مَا لَبَّى حَاجَةَ المُجْتَمَـعِ،

(١) أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص ١١.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

فَكَانَ السُّودَانُ بِفَضْلِ جُهُودِهِ السَّبَّاقَ فِي الإِصْلَاحِ وَالتَّحْدِيثِ القَضَائِيِّ وَالتَّعْلِيمِيِّ. كما أن دَوْرُهُ في السودان لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى العَمَلِ القَضَائِيِّ، بَلْ كَانَ أَيْضًا مُعَلِّمًا وَوَاعِظًا، يَنْشُرُ الهِدَايَةَ وَالعِلْمَ فِي أَرْجَاءِ البِلَادِ. وَكَانَ يُلْقِي خُطَبًا مُحْكَمَةً يَدْعُو فِيهَا إِلَى الدِّينِ وَالفَضِيلَةِ، كَمَا قَرَأَ صَحِيحَ البُخَارِيِّ عَلَى السُّودَانِيِّينَ بِأُسْلُوبِهِ العَذْبِ، مِمَّا تَرَكَ أَثَرًا عَمِيقًا فِي المُجْتَمَعِ السُّودَانِيِّ (١).

وظَلَّتْ آثَارُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ قَائِمَةً فِي السُّودَانِ، يَسْتَرْشِدُ بِهَا العُلَمَاءُ وَالقُضَاةُ وَالحُكَّامُ، وَحَفِظَ لَهُ السُّودَانِيُّونَ أَجْمَلَ الذِّكْرَى، مُقَدِّرِينَ مَوَاقِفَهُ الحَازِمَةَ فِي خِدْمَةِ البِلَادِ وَنُصْرَةِ الإِسْلَامِ (٢).

عَلَى أَيَّةِ حَالٍ، فَإِنَّ تَجْرِبَةَ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ فِي السُّودَانِ تُعَدُّ نَمُوذَجًا تَارِيخِيًّا مُلْهِمًا لِنَجَاحِ الإِصْلَاحِ عِنْدَمَا تَتَوَفَّرُ الإِدَارَةُ السِّيَاسِيَّةُ الوَاعِيَةُ وَالأَدَوَاتُ التَّنْفِيذِيَّةُ اللَّازِمَةُ.

رابعا: دَوْرُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ فِي إِصْلَاحِ التَّعْلِيمِ الأَزْهَرِيِّ فِي الإِسْكَنْدَرِيَّةِ:

عَادَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ فِي صَيْفِ عَامِ ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م مِنَ السُّودَانِ إِلَى القَاهِرَةِ فِي إِجَازَةٍ سَنَوِيَّةٍ، وَكَأَنَّ الأَقْدَارَ كَانَتْ تُعِدُّهُ لِمُهِمَّةٍ جَدِيدَةٍ سَتُغَيِّرُ وَجْهَ التَّعْلِيمِ الدِّينِيِّ فِي الإِسْكَنْدَرِيَّةِ. فَقَدْ عُيِّنَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ شَيْخًا لِعُلَمَاءِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، بِتَرْشِيحٍ مِنَ الإِمَامِ مُحَمَّدٍ عَبْدُهُ (٣).

وَقَدْ وَاجَهَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ تَحَدِّيَاتٍ كُبْرَى فِي وَقْتٍ كَانَتْ تُعَانِي فِيهِ المَدِينَةُ مِن اضْطِرَابَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ وَجُمُودٍ تَعْلِيمِيٍّ. لَمْ تَكُنْ مُهِمَّتُهُ سَهْلَةً، وَلَكِنَّهَا حَمَلَتْ مَعَهَا فُرْصَةً ذَهَبِيَّةً لِإِحْدَاثِ تَغْيِيرٍ حَقِيقِيٍّ فِي التَّعْلِيمِ الدِّينِيِّ فِي الإِسْكَنْدَرِيَّةِ (٤). فَبَدَأَ الشَّيْخُ مَسِيرَتَهُ الإِصْلَاحِيَّةَ، وَاضِعًا أُسُسًا جَدِيدَةً لِتَطْوِيرِ التَّعْلِيمِ الأَزْهَرِيِّ (٥).

---

(١) أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٣، ١٤.

(٣) السيد محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام، ص ٤٧٠، ٤٧١.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٦٧-٤٧٠.

(٥) أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص١٤.

وكَانَتْ أَوَّلُ عقَبَةٍ وَاجَهَهَا الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ هِيَ الخِلَافُ مَعَ أَوْلَادِ إِبْرَاهِيمَ بَاشَا، الَّذِينَ رَفَضُوا الخُضُوعَ لِلنِّظَامِ الأَزْهَرِيِّ؛ خَشْيَةَ فُقْدَانِ نُفُوذِهِمُ التَّقْلِيدِيِّ[١].وَلَكِنْ، بِفَضْلِ حِنْكَتِهِ الدِّبْلُومَاسِيَّةِ وَالإِدَارِيَّةِ، اسْتَطَاعَ حَلَّ هَذَا الخِلَافِ؛ بِنَقْلِهِ التَّدْرِيسَ مِنْ بَعْضِ المَسَاجِدِ التَّابِعَةِ لَهُمْ إِلَى مَسَاجِدَ أُخْرَى أَكْثَرَ تَنْظِيمًا، لِتَجَنُّبِ التَّحَيُّزَاتِ العَائِلِيَّةِ[٢].

دَوْرُهُ فِي تَأْسِيسِ المَعْهَدِ الدِّينِيِّ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ:

لَمْ يَكُنْ تَعْيِينُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ شَيْخًا لِعُلَمَاءِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ مُجَرَّدَ تَغْيِيرٍ إِدَارِيٍّ، بَلْ مَثَّلَ بَدَايَةَ مَشْرُوعٍ تَعْلِيمِيٍّ وَدِينِيٍّ طَمُوحٍ، انْطَلَقَ مِنْ رُؤْيَتِهِ المُتَجَدِّدَةِ وَحِرْصِهِ عَلَى تَطْوِيرِ التَّعْلِيمِ الدِّينِيِّ. فَقَدْ كَانَ وَاعِيًا بِالخَطَرِ المُتَزَايِدِ لِانْتِشَارِ المَدَارِسِ الوَطَنِيَّةِ وَالأَجْنَبِيَّةِ، مِمَّا دَفَعَهُ إِلَى السَّعْيِ لِتَأْسِيسِ مَعْهَدٍ دِينِيٍّ يَكُونُ حَصْنًا لِلْهُوِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَمَنْبَعًا لِلعِلْمِ الأَزْهَرِيِّ الأَصِيلِ فِي الإِسْكَنْدَرِيَّةِ [٣].

رؤية الشيخِ محمد شاكر لإنشاءِ المعهدِ:

مع استلامهِ المنصب، أدرك الشيخ محمد شاكر أن عدد المشايخ والعلماء في الإسكندرية كان محدودًا، مما جعل إنشاء مؤسسةٍ تعليمية دينية أمرًا ضروريًا. لم يكن هدفهُ مجردَ إنشاءَ معهدًا، بل كان يسعي إلى تأسيسِ صرح علميّ ديني مرموقٍ، يُقدم تعليمًا متميزًا يمكنهُ منافسةُ المدارسِ الأخرى. كان يرى في هذا المشروع إحياء لدورِ الأزهر في الإسكندرية، ليكون منارةً للعلم الشرعي في مواجهةِ المدّ التعليمي الغربي[٤] .

بَدَأَ الشَّيْخُ بِإِعْدَادِ المَنَاهِجِ الدِّرَاسِيَّةِ وَتَنْظِيمِهَا، وَوَضْعِ تَصَوُّرٍ إِدَارِيٍّ لِلْمَعْهَدِ، وَعَكَفَ عَلَى إِعْدَادِ مِيزَانِيَّةٍ بِدِقَّةٍ. بَعْدَ ذَلِكَ، عَرَضَ فِكْرَتَهُ عَلَى الخِدِيوِيِّ عَبَّاسٍ

---

(١) السيد محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام ، ص٤٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٧١، ٤٧٢.

(٣) محمد كامل الفقي: الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، ج٢، ص ١٨٤.

(٤) المرجع السابق والجزء والصفحة.

حِلْمِي، الَّذِي أَبْدَى تَأْيِيدًا قَوِيًّا وَمُوَافَقَةً عَلَى الفِكْرَةِ، وَأَمَرَ بِتَخْصِيصِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ وَثَلاثُ مِئَةٍ وَأَرْبَعَةٌ وَسَبْعُونَ جُنَيْهًا مِنْ مَالِ الدَّوْلَةِ لِدَعْمِ المَعْهَدِ (١).

وبعدَ الحُصولِ على مُوافقةِ الخديوي، وَقَعَ الاختيارُ على جامعِ "أبي العبَّاسِ" ليكونَ مَقَرًّا للدِّراسةِ. وتمَّ الإعلانُ عن قَبولِ الطُّلَّابِ وَفقَ امتحانٍ يُحَدِّدُ مُستواهُم، ضَمانًا لجَودةِ التَّعليمِ وانتقاءِ أفضلِ العَناصِرِ (٢).

في العامِ الأوَّلِ، بَلَغَ عَدَدُ الطُّلَّابِ المَقبُولينَ ثلاثَمائةِ طالبٍ، مِمَّا شَكَّلَ انطِلاقةً قَوِيَّةً للمَشروعِ. وكانَ خَلفَ مَسجِدِ "أبي العبَّاسِ" مِساحةٌ فارِغةٌ تابِعةٌ لمَصلَحةِ البَحريَّةِ، فارتأى الشَّيخُ مُحمَّدٌ شاكرٌ إقامَةَ مَساكِنَ داخليَّةٍ للطُّلَّابِ عَلى تِلكَ الأرضِ، ضَمانًا لبِيئةٍ تَعلِيميَّةٍ مُناسِبَةٍ لهُم. فَعرَضَ فِكرتَهُ عَلى الخِديوي، الَّذي وافَقَ عَليها وَدَعَمَ تَنفيذَها، إدراكًا لأهمِيَّتِها في استِقطابِ الطُّلَّابِ مِن مُختَلَفِ أنحَاءِ البِلادِ (٣).

لم يقتصرْ طُموحُ الشيخِ مُحمَّدٍ شاكرٍ على تأسيسِ المعهدِ فحسْب، بل سعى إلى توسيعِه وتحويلِه إلى صَرْحٍ تعليميٍّ متكاملٍ. فبادرَ إلى طلبِ تخصيصِ قطعةِ أرضٍ بمِساحةِ ثمانيةَ عَشَرَ ألفَ مترٍ مُربَّعٍ في منطقةِ "الورْديان"، بهدفِ تطويرِ المعهدِ وتوسيعِ نطاقِه. ورغمَ العَقَباتِ التي واجهَتْهُ في مَسيرتِه، إلَّا أنَّهُ تعاملَ معها بمَهارةٍ ولباقةٍ، ولم يَتَرَدَّدْ في السَّعيِ للحصولِ على الدَّعْمِ من الخديوي وأعيانِ المُجتمعِ. فقد كان مُصِرًّا على المُضيِّ قُدُمًا لتحقيقِ رُؤيتِه، مُؤْمِنًا بِرِسالَتِه التَّعليميَّةِ وساعيًا بِكُلِّ جُهدٍ لترسيخِها (٤).

وَمِمَّا يَلْفِتُ الانْتِبَاهَ حَقًّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ دَوْرُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ مُقْتَصِرًا عَلَى تَأْسِيسِ المَعْهَدِ فَحَسْبُ، بَلْ أَوْلَى اهْتِمَامًا بِنِظَامٍ إِدَارِيٍّ صَارِمٍ يُحَقِّقُ التِّزَامًا وَالانْضِبَاطَ. فَقَدْ رَسَّخَ قَوَاعِدَ دَقِيقَةً لِلحُضُورِ وَالانْصِرَافِ، نَظَّمَ سَاعَاتِ العَمَلِ،

(١) السيد محمد رشيد رضا: المصدر السابق، ص ٤٧٢، ٤٧٣.

(٢) محمد كامل الفقي: الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة،ج٢، ص ١٨٥.

(٣) المرجع السابق والجزء و الصفحة.

(٤) المرجع نفسه والجزء والصفحة.

وَحَدَّدَ مَوَاعِيدَ المُحَاضَرَاتِ بِدِقَّةٍ، مِمَّا أَسْهَمَ فِي خَلْقِ بِيئَةٍ تَعْلِيمِيَّةٍ مُنْضَبِطَةٍ يَعْتَادُ عَلَيْهَا الطُّلَّابُ وَالعُلَمَاءُ. وَفِي نَفْسِ الوَقْتِ، أَحْدَثَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ نَقْلَةً نَوْعِيَّةً فِي التَّعْلِيمِ الأَزْهَرِيِّ، حَيْثُ أَدْخَلَ العُلُومَ الحَدِيثَةَ إِلَى المُنَاهِجِ الدِّرَاسِيَّةِ وَجَعَلَهَا إِلْزَامِيَّةً إِلَى جَانِبِ العُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ، سَعْيًا لِإِعْدَادِ طَالِبٍ أَزْهَرِيٍّ مُوَاكِبٍ لِمُتَطَلَّبَاتِ العَصْرِ. وَقَدْ لَقِيَتْ هَذِهِ الْجُهُودُ اسْتِحْسَانَ الْخِدِيوِيِّ عَبَّاسِ حِلْمِي، الَّذِي أَبْدَى ارْتِيَاحَهُ وَتَقْدِيرَهُ لِمَا بُذِلَ مِنْ جُهُودٍ فِي تَحْوِيلِ مَسَارِ التَّعْلِيمِ مِنَ النَّمَطِ التَّقْلِيدِيِّ إِلَى النَّمَطِ الْحَدِيثِ، وَفَتَحَ بِذَلِكَ آفَاقًا جَدِيدَةً لِلْعُلَمَاءِ وَالطُّلَّابِ فِي عَالَمِ العُلُومِ الْحَدِيثَةِ[1].

وفي سياق هذا التطوير، ومن أجل تحقيق رؤيته الإصلاحية، استعانَ الشيخُ محمدٌ شاكرٌ بعددٍ من عُلماءِ الأزهرِ المُتميّزينَ، لتدريسِ العلومِ الحديثةِ للطلابِ، ممَّا أدَّى إلى تطويرِ التعليمِ الدينيِّ والعلميِّ في الإسكندريةِ، وتعزيزِ مكانةِ المعهدِ كمنارةٍ للعلمِ والمعرفةِ[2].

لَمْ يَقتَصِرِ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ عَلَى جُهُودِهِ الإِصْلَاحِيَّةِ، بَلْ قَدَّمَ تَقْرِيرًا شَامِلًا – وَهُوَ أَمْرٌ غَيْرُ مَأْلُوفٍ فِي ذَاكَ الوَقْتِ – إِلَى مَشِيخَةِ الأَزْهَرِ، اسْتَعْرَضَ فِيهِ بِالتَّفْصِيلِ أَعْمَالَهُ فِي تَطْوِيرِ التَّعْلِيمِ الأَزْهَرِيِّ فِي مَدِينَةِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ. جَاءَ التَّقْرِيرُ لِيَعْكِسَ جُهُودَ الإِصْلَاحِ الَّتِي قَامَ بِهَا، مُتَنَاوِلًا عِدَّةَ مَحَاوِرَ رَئِيسِيَّةٍ، مِنْهَا:

أولا: أوضاعُ العلماءِ والطلبةِ قبلَ عمليةِ الإصلاحِ، وكيفَ تطورتْ أحوالُهم بعدَ تطبيقِ المنهجيةِ الجديدةِ.

ثانيا: تفاصيلُ المناهجِ والعلومِ التي تمَّ تدريسُها خلالَ الفترةِ، وأسماءُ العلماءِ الذينَ تمَّ اختيارُهم للإشرافِ على تدريسِ كلِّ علمٍ.

ثالثا: أساليبُ التدريسِ ومواعيدُهُ وأماكنُهُ، ومدى التزامِ الطلبةِ والعلماءِ بالنظامِ التعليميِّ الجديدِ.

---

(١) السيد محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام، ص ٤٧١، ٤٧٢.

(٢) المصدر السابق، ص٤٧٣.

في ختامِ تقريرِهِ، شدَّدَ الشيخُ محمدٌ شاكرٌ على ضرورةِ توفيرِ الموارِدِ الماليةِ الكافيةِ لضمانِ استمرارِ العمليةِ التعليميةِ وتحقيقِ أهدافِها، إذ لا يمكنُ إنجازُ هذهِ الإصلاحاتِ دونَ تمويلٍ مستدامٍ يضمنُ انتظامَ العلماءِ والطلابِ في التعليمِ وفقَ النظامِ الموضوعِ[١].

وَمِنَ الأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ الإِشَارَةُ أَنْ هَذَا التَّقْرِيرُ لَاقَى تَرْحِيبًا كَبِيرًا لَدَى مَجْلِسِ إِدَارَةِ الأَزْهَرِ، الَّذِي أَدْرَكَ أَنَّ جُهُودَ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ فِي الإِسْكَنْدَرِيَّةِ سَتُحَقِّقُ أَثَرًا إِيجَابِيًّا عَلَى مُسْتَقْبَلِ التَّعْلِيمِ الأَزْهَرِيِّ. وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ، طَلَبَتْ مِنهُ المَشِيخَةُ إِعْدَادَ مِيزَانِيَّةٍ دَقِيقَةٍ تُوَضِّحُ حَجْمَ المَوَارِدِ المَالِيَّةِ المَطْلُوبَةِ وَأَوْجُهَ صَرْفِهَا، حَتَّى تَتَمَكَّنَ الإِدَارَةُ مِنْ تَقْدِيمِ طَلَبٍ رَسْمِيٍّ إِلَى الخديوي لِلحُصُولِ عَلَى الدَّعْمِ المَالِيِّ اللَّازِمِ.

بالفعلِ، استجابَ الشيخُ محمدٌ شاكرٌ لهذا التكليفِ، وأعدَّ ميزانيةً تفصيليةً لتمويلِ المشروعِ، ثمَّ قدَّمَ نسخًا منها إلى الخديوي ومشيخةِ الأزهرِ. وبعدَ مراجعتِها، وافقَ الخديويُّ على الطلبِ، وأقرَّتْ مشيخةُ الأزهرِ الخطةَ الماليةَ، مما شكَّلَ دعمًا قويًا لاستمرارِ عمليةِ الإصلاحِ وتحقيقِ نهضةٍ تعليميةٍ أزهريةٍ متكاملةٍ[٢].

يعكسُ التقريرُ حرصَ الشيخِ محمدٍ شاكرٍ على النهجِ العلميِّ والتنظيميِّ في إدارةِ التعليمِ الأزهريِّ، كما يُبرزُ أهميةَ التمويلِ في نجاحِ المشروعاتِ الإصلاحيةِ، ويُؤكِّدُ على الدورِ الحيويِّ لمؤسساتِ الدولةِ، مثلَ مشيخةِ الأزهرِ والخديوي، في دعمِ النهضةِ التعليميةِ. ولم يقتصرْ دورهُ على الإصلاحِ الداخليِّ للمعهدِ، بل عملَ أيضًا على تعزيزِ التعاونِ مع إدارةِ الأزهرِ في القاهرةِ، حيثُ تمَّ تنسيقُ الجهودِ بينَ المعهدِ والإدارةِ المركزيةِ، مما ساهمَ في توحيدِ المساعي لتحقيقِ أهدافٍ مشتركةٍ في تطويرِ التعليمِ الأزهريِّ. إضافةً إلى ذلك، كانَ الشيخُ محمدٌ شاكرٌ حريصًا على إرسالِ تقاريرٍ واقتراحاتٍ إلى إدارةِ الأزهرِ لاتخاذِ الإجراءاتِ اللازمةِ، لضمانِ استمرارِ عمليةِ التطويرِ وفقَ رؤيةٍ واضحةٍ ومنهجيةٍ مدروسةٍ.

---

(١) السيد محمد رشيد رضا: المصدر السابق، ص ٤٧٢، ٤٧٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٧١، ٤٧٢.

تنظيمُ الميزانيةِ وضبطُ الإنفاق في معهدِ الإسكندريةِ:

حرصَ الشيخُ محمدٌ شاكرٌ على إدارةِ ميزانيةِ المعهدِ بدقةٍ وفقَ نظامٍ ماليٍّ منظمٍ، حيثُ وضعَ قواعدَ واضحةً لصرفِ الأموالِ [١]، بما يضمنُ تطويرَ العمليةِ التعليميةِ وتحسينَ الأوضاعِ الماديةِ للعلماءِ والطلابِ. وقد تمَّ تخصيصُ جزءٍ من الميزانيةِ لدعمِ هذهِ الفئاتِ، مما أسهمَ في تهيئةِ بيئةٍ تعليميةٍ مناسبةٍ تُمكِّنُهم من التفرغِ للتحصيلِ العلميِّ.

محاورُ الإصلاحِ الماليِّ:

تحسينُ مرتباتِ العلماءِ والطلابِ:

بادرَ الشيخُ محمدٌ شاكرٌ إلى إعادةِ هيكلةِ المرتباتِ داخلَ المعهدِ، وفقَ نظامٍ عادلٍ يُراعي الدرجاتِ العلميةَ والمستوى المعيشيَّ. فجاءتْ الرواتبُ على النحوِ التالي:

العلماءُ من الدرجةِ الأولى: خمسُة جنيهاتٍ شهريًا.

العلماءُ من الدرجةِ الثانية: أربعُة جنيهاتٍ شهريًا.

العلماءُ من الدرجةِ الثالثة: ثلاثُة جنيهاتٍ شهريًا.

العلماءُ الفقراءُ: جنيهٌ واحدٌ شهريًا [٢].

ولا شكَّ أنَّ هذهِ الزيادةَ في الرواتبِ كان لها أثرٌ إيجابيٌّ كبيرٌ في تحفيزِ العلماءِ والطلابِ على الاجتهادِ ومواصلةِ مسيرةِ التعليمِ.

---

(١) وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ محمد شاكر، عند وضع ميزانية معهد الإسكندرية، وكذلك خلال فترة وكالته لمشيخة الأزهر، كان يحدد ما يستحقه العلماء والموظفون من علاواتٍ ومستحقاتٍ مالية. إلا أنه أمام اسمه كان يكتب: "لا يستحق شيئًا"، في تجسيدٍ واضحٍ لنزاهته وتجرّده عن أي منفعة شخصية. أسامة السيد محمود الأزهري: جمهرة أعلام الأزهر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، ج٤، ص ٢٢٨.

(٢) السيد محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام، ص ٤٧٣.

توفيرُ مساكنَ للطلابِ الغرباءِ:

لم يكن دعمُ الطلابِ مقصورًا على تحسينِ الأوضاعِ الماليةِ، بل امتدَّ ليشملَ توفيرَ مساكنَ مجهزةٍ بالخدماتِ الأساسيةِ للطلابِ الذينَ قدموا من مناطقَ بعيدةٍ للدراسةِ في المعهدِ. وكانَ الهدفُ من ذلكَ هو توفيرُ بيئةٍ مريحةٍ تُساعدُهم على التفرغِ الكاملِ للتحصيلِ العلميِّ. كما تمَّ تخصيصُ مبالغَ ماليةٍ إضافيةٍ لدعمِ هؤلاءِ الطلابِ، لتغطيةِ نفقاتهمِ اليوميةِ وتأمينِ احتياجاتِهم الأساسيةِ[١].

دعمُ العلماءِ الفقراءِ:

إيمانًا منهُ بدورِ العلماءِ في نهضةِ المجتمعِ، حرصَ الشيخُ محمدٌ شاكرٌ على تخصيصِ دعمٍ ماليٍّ إضافيٍّ للعلماءِ الفقراءِ العاملينَ في المعهدِ، وذلك بخلافِ مرتباتِهم الأساسيةِ. وقد ساعدتْ هذهِ المبالغُ في تحسينِ أوضاعِهم المعيشيةِ، مما مكَّنهم من التفرغِ للعملِ العلميِّ والتعليمِ دونَ القلقِ بشأنِ احتياجاتِهم الشخصيةِ[٢].

ويتضح مما سبق أن نجاحَ الشيخُ محمدٌ شاكرٌ في وضعِ نظامٍ ماليٍّ مُنظمٍ وفعَّالٍ، يضمنُ حسنَ استغلالِ الموارِدِ الماليةِ، مما أسهمَ في تحقيقِ نهضةٍ تعليميةٍ مُستدامةٍ. وقد لعبَ تحسينُ المرتباتِ دورًا محوريًا في رفعِ مستوى الأداءِ العلميِّ والتعليميِّ داخلَ المعهدِ، حيثُ ساعدَ ذلكَ في تحفيزِ العلماءِ والطلابِ على مواصلةِ الاجتهادِ وبذلِ المزيدِ من الجهدِ في العمليةِ التعليميةِ. ولم يقتصرِ الإصلاحُ الماليُّ على الرواتبِ فقط، بل امتدَّ ليشملَ توفيرَ بيئةٍ مستقرةٍ للطلابِ، من خلالِ تخصيصِ مساكنَ مُجهزةٍ بالخدماتِ الأساسيةِ، مما أسهمَ في استقطابِ المزيدِ من الطلابِ، خصوصًا من المناطقِ النائيةِ، وضمانِ تفرغِهم التامِّ للتحصيلِ العلميِّ. كما كانَ لدعمِ العلماءِ الفقراءِ دورٌ بارزٌ في ضمانِ استدامةِ العمليةِ التعليميةِ، حيثُ أتاحَ هذا الدعمُ لهم إمكانيةَ مواصلةِ التدريسِ دونَ التأثرِ بالضغوطِ الاقتصاديةِ. وبفضلِ هذهِ الإصلاحاتِ الماليةِ المتكاملةِ، استطاعَ الشيخُ محمدٌ شاكرٌ أن يُؤسسَ نموذجًا إداريًا

---

(١) السيد محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام، ص ٤٧٣.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

ناجحًا، يُحتذى بهِ في تطويرِ التعليمِ الأزهريِّ، وضمانِ استقرارهِ واستمراريتهِ عبرَ سياساتٍ ماليةٍ حكيمةٍ تُراعي احتياجاتِ جميعِ أطرافِ العمليةِ التعليميةِ.

تَرْسِيخُ ثَقَافَةِ الاحْتِفَالَاتِ العِلْمِيَّةِ

أَدْخَلَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ تَقْلِيدًا جَدِيدًا فِي الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، يَتَمَثَّلُ فِي الاحْتِفَالِ الرَّسْمِيِّ بِنِهَايَةِ العَامِ الدِّرَاسِيِّ. وَكَانَتْ تِلْكَ الاحْتِفَالَاتُ تُقَامُ فِي مَسْجِدِ أَبِي العَبَّاسِ المُرْسِيِّ، حَيْثُ يُكَرَّمُ الطُّلَّابُ المُتَفَوِّقُونَ بِجَوَائِزَ قَيِّمَةٍ، تَتَضَمَّنُ كُتُبًا عِلْمِيَّةً وَنَفِيسَةً.

وَكَانَتْ تَشْهَدُ هَذِهِ الاحْتِفَالَاتِ شَخْصِيَّاتٌ بَارِزَةٌ، مِنْ بَيْنِهِمُ الخِدْيَوِيُّ أَوْ نَائِبُهُ، إِضَافَةً إِلَى الوُزَرَاءِ وَالعُلَمَاءِ وَالطُّلَّابِ. وَكَانَ الشَّيْخُ يُلْقِي خِلَالَهَا خُطَبًا تَحْفِيزِيَّةً تُلْهِمُ الحَاضِرِينَ وَتُشْعِلُ فِيهِمُ الحَمَاسَ لِطَلَبِ العِلْمِ(١).

ولا شَكَّ أَنَّ هَذَا النَّهْجَ يَعْكِسُ فَلْسَفَةً تَعْلِيمِيَّةً تَحْفِيزِيَّةً، قَائِمَةً عَلَى دَعْمِ التَّمَيُّزِ وَالجِدِّيَّةِ فِي التَّحْصِيلِ العِلْمِيِّ. فَلَمْ يَكُنْ هَذَا التَّكْرِيمُ مُجَرَّدَ احْتِفَالٍ شَكْلِيٍّ، بَلْ كَانَ يَهْدِفُ إِلَى تَعْزِيزِ ثَقَافَةِ الاجْتِهَادِ العِلْمِيِّ، وَرَبْطِ النَّجَاحِ الأَكَادِيمِيِّ بِالتَّقْدِيرِ الاجْتِمَاعِيِّ.

الخطبةُ الشهيرةُ ضدَّ اللوردِ كرومر:

كانَ الشيخُ محمدٌ شاكرٌ يستغلُّ الاحتفالَ السنويَّ الذي استحدثهُ لتكريمِ المتفوقينَ، ليُلقي خُطبًا قويةً في حضورِ كبارِ رجالِ الدولةِ المصريةِ. ومن أشهرِ خُطبهِ تلكَ التي ألقاها في ٢٢ رجب ١٣٢٥هـ، الموافق ٣١ أغسطس ١٩٠٧م، حيثُ قدَّم ردًّا حاسمًا على انتقاداتِ اللوردِ كرومرَ (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م – ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م) للإسلامِ(٢).

---

(١) أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص١٤، أسامة السيد محمود الأزهري: جمهرة أعلام الأزهر، ج٤، ص٢٢٧.

(٢) أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص١٤.

وقد شَهِدَ هذا الحدثُ شخصياتٍ بارزةً، من بينهم حُسني فخري باشا، أحمد ظلوم باشا، محافظُ الإسكندريةِ، رئيسُ الديوانِ الخديوي، ووكيلُ الأوقافِ. فقامَ الشيخُ محمدٌ شاكرٌ بالواجبِ، مدافعًا عن الإسلامِ بحُججٍ دامغةٍ[١].

أبرزُ ما جاءَ في خطبتهِ:

قالَ الشيخُ محمدٌ شاكرٌ في خطبتهِ الشهيرةِ:

"ويقولونَ إنَّ الدينَ يجيزُ الرِّقَ، ويتضمنُ سُننًا وشرائعَ في علاقاتِ النساءِ بالرجالِ تُناقضُ آراءَ أهلِ هذا العصرِ؟ نعم، إنَّ الإسلامَ قد أباحَ الاسترقاقَ، كما أباحتهُ كُلُّ الشَّرائعِ السَّماويَّةِ من قبلُ، ولكنَّهُ سوَّى بينَ الأرقاءِ وبينَ الآباءِ والأمهاتِ في الوصيةِ بالإحسانِ والرِّفقِ والحنانِ[٢] أليسَ يقولُ اللهُ تعالى في كتابهِ الكريمِ:(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) [٣]

وتابعَ قائلًا:

"أباحَ الإسلامُ استرقاقَ الأفرادِ، ولكنَّهُ لم يُبِح استرقاقَ الشعوبِ، ولا مصادرةَ الأممِ في مقوماتِ حياتِها القوميَّةِ والاجتماعيَّةِ. أمَّا فيما يخصُّ علاقةَ النساءِ بالرجالِ، فليسَ وراءَ الشريعةِ الإسلاميةِ غايةٌ سوى العدلِ والرَّحمةِ، والمحافظةِ على الأعراضِ، حتَّى لا يتطاولَ عليها أصحابُ النفوسِ الدنيئةِ" [٤] .

كانت هذه الخطبةُ موقفًا قويًّا يعكسُ شجاعةَ الشيخِ محمدٍ شاكرٍ في مواجهةِ الافتراءاتِ ضدَّ الإسلامِ، مُؤكِّدًا على عُمقِ فَهمهِ للشريعةِ ومبادئها القائمةِ على العدلِ والإنسانيةِ.

---

(١) أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص١٤ .

(٢) المرجع السابق، ص١٤، ١٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٤) أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر ، ص١٥.

على أية حال، لَمْ يَكُنْ تَأْثِيرُ هَذِهِ الخُطْبَةِ مُقْتَصِرًا عَلَى الرَّدِّ عَلَى انتِقَادَاتِ اللُّورْدِ كُرُومَر، بَلْ تَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَرْكِ أَثَرٍ نَفْسِيٍّ بَالِغٍ فِي نُفُوسِ طُلَّابِ العِلْمِ، وَالحُكَّامِ وَالوُزَرَاءِ، وَجُمُوعِ الشَّعْبِ، إِذْ شَهِدَ الجَمِيعُ جَلَالَةَ شَأْنِ العِلْمِ وَالعُلَمَاءِ، وَازْدَادَتْ مَكَانَةُ الأَزْهَرِ الشَّرِيفِ فِي أَعْيُنِهِمْ، مِمَّا سَاهَمَ فِي تَرْسِيخِ قِيمَتِهِ عِنْدَ العَامَّةِ وَالخَاصَّةِ، وَحِفْظِ العُلَمَاءِ مَنْزِلَتَهُمُ اللَّائِقَةَ، كَمَا غَرَسَ فِي نُفُوسِ طُلَّابِ الأَزْهَرِ وَغَيْرِهِمْ مِقْدَارَ شَرَفِ العِلْمِ الَّذِي يَحْمِلُونَهُ."

وَتَنْبَغِي الإِشَارَةُ أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدًا شَاكِرًا كَانَ حَرِيصًا عَلَى أَنْ يَكُونَ طَالِبُ العِلْمِ الأَزْهَرِيِّ قويَّ الخُلق، عزيزَ النفس، مستقلَّ الرأي، تمهيدًا لما كانَ يرجوهُ من إعدادِ رجالٍ قادرينَ على خوضِ معتركِ الحياةِ، والمشاركةِ الفعَّالةِ في إدارةِ شؤونِ الدولةِ(١).

وقد كانَ متفقًا في هذا التوجُّهِ مع وُلاةِ الأمورِ، ساعيًا إلى بثِّ الروحِ الإسلاميةِ في نُظُمِ الدولةِ، والتصدِّي لتغلغلِ النفوذِ الأجنبيِّ الذي كانَ مُنتشرًا آنذاكَ. فقد كانَ الشيخُ يأملُ في استعادةِ الإسلامِ لمجدهِ وعزَّتهِ، مُتطلِّعًا إلى أن تتحقَّق رؤيتُهُ في نهضةٍ علميَّةٍ وإداريةٍ قائمةٍ على قيمِ الإسلامِ ومبادئهِ العادلةِ(٢).

وَيَتَّضِحُ مِمَّا سَابِقَ أَنَّ جُهُودَ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ فِي إِصْلَاحِ التَّعْلِيمِ الأَزْهَرِيِّ نَمُوذَجًا يُحتذى بهِ، حيثُ جَمَعَ بينَ الانضباط الإداريّ، والتحديث المنهجيّ، والتشجيعِ على التَّفوّق، والدفاعِ عنِ الهويةِ الإسلامية في آنٍ واحدٍ. هذا النَّموذجُ من الإصلاحِ يُعدُّ مِثالًا على كيفيةِ النهوض بالمؤسساتِ التعليميةِ دُون فقدانِ الهوية الثقافيةِ والإسلامية. كما أن نهجه يعتبر نموذجًا مبكرًا للإصلاحِ التعليمي المعتمد على التنظيمِ وحسنِ الإدارةِ.

---

(١) أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص١٥.

(٢) المرجع السابق والصفحة.

بعد النجاح الذي حققه النظام التعليمي في معهد الإسكندرية، تم تعميم هذا النموذج على سائر المعاهد الأزهرية في مصر، ليصبح ركيزةً أساسيةً في تطوير التعليم الأزهري. جاء هذا الإصلاح في إطار رؤية الشيخ محمد شاكر الجرجاوي لتحديث المناهج الأزهرية، وجعلها أكثر شمولًا وتنوعًا، بما يتوافق مع متطلبات العصر، ويُسهم في تطوير المنظومة التعليمية.

لم يكن معهد الإسكندرية مجرد مؤسسة تعليمية، بل كان منارةً للعلم والفكر، أخرجت جيلًا من كبار علماء الأزهر وزعمائه في القرن العشرين، الذين كان لهم دور بارز في نهضة الفكر الإسلامي وتجديده. ومن أبرز خريجيه: الشيخ محمود شلتوت (١٣١٠ -١٣٨٣هـ / ١٨٩٣ -١٩٦٣م) [١]، والشيخ عبد الرحمن تاج (١٣١٤ -١٣٩٥هـ / ١٨٩٦ - ١٩٧٥م) [٢]، وقد تقلد كلاهما منصب شيخ الأزهر خلال الفترة من ١٩٥٤ إلى ١٩٦٣م.

---

(١)الإمام الأكبر محمود شلتوت، الحنفي، وُلِدَ في قرية منية بني منصور، مركز إيتاي البارود. حفظ القرآن الكريم، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الأزهري، وكان الأول بين أقرانه. تخرَّجَ بالأزهر سنة ١٩١٨م، وكان داعية إصلاح، يُؤْمِنُ بفتح باب الاجتهاد. سعى لإصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ، وطُرِدَ هو ومناصروه. عمل في المحاماة من سنة ١٩٣١م إلى سنة ١٩٣٥م، ثم أُعيدَ إلى الأزهر، فعُيِّنَ وكيلاً لكلية الشريعة. ثم كان من أعضاء هيئة كبار العلماء سنة ١٩٤١م، ونال عضوية مجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٦م. تولَّى مشيخة الأزهر سنة ١٩٥٨م واستمر في منصبه حتى وفاته. كان فقيهًا بارعًا، وله ست وعشرون مؤلفًا مطبوعًا، من أهمها: "المسؤولية المدنية والجنائية في الشريعة الإسلامية"، وهي رسالته التي تقدَّمَ بها لنيل عضوية هيئة كبار العلماء، و"هذا هو الإسلام"، و"عنصر الخلود في الإسلام"، وغيرها.

أسامة السيد محمود الأزهري: "جمهرة أعلام الأزهر"، ج٦، ص٥٩.

(٢) الإمام الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج بن علي بن حسين بن تاج الحنفي، وُلِدَ في أسيوط. حفظ القرآن الكريم، وحفظ بعض المتون. رآه سعد زغلول، وزير المعارف حينئذ، في رحلة تفتيش، فاسترعى انتباه الوزير ذكاؤه، فالحقه بالمدرسة الأميرية على نفقة الدولة في جميع =

ليواصلا مسيرة الإصلاح والتجديد التي أرساها الشيخ محمد شاكر الجرجاوي، مما جعل أثره التعليمي ممتدًا عبر الأجيال، وشاهدًا على دوره الريادي في تحديث التعليم الأزهري.

= مراحل التعليم. إلا أن جده رغب في تعليمه في الأزهر، فانتقلت أسرته إلى الإسكندرية، فالتحق بمعهد الإسكندرية سنة ١٩١٠م، ونال العالمية سنة ١٩٢٣م. ثم التحق بمعهد القضاء الشرعي، وعُيِّنَ بمعهد أسيوط الأزهري، ثم في معهد القاهرة الأزهري، حتى عُيِّنَ سنة ١٩٣٣م مدرسًا بقسم القضاء في كلية الشريعة. عُيِّنَ سنة ١٩٣٥م عضوًا بلجنة الفتوى ممثلًا للمذهب الحنفي. ثم سافر سنة ١٩٣٦م في بعثة الأزهر إلى السوربون، حيث نال درجة الدكتوراه في الفلسفة وتاريخ الأديان سنة ١٩٤٢م. نال عضوية هيئة كبار العلماء سنة ١٩٥٤م، واختير أستاذًا للشريعة بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة). وكان عضوًا في لجنة الخمسين لإعداد الدستور سنة ١٩٥٤م، حتى عُيِّنَ شيخًا للأزهر سنة ١٩٥٤م. وقد اعتنى بإصلاح النظم الإدارية بالأزهر، واهتمَّ بمدينة البعوث. ومن مؤلفاته: "أحكام أحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية"، و"السياسة الشرعية والفقه الإسلامي. المرجع السابق والجزء، ص ٢٧٩-٢٨٠.

اَلْمَبْحَثُ اَلثَّانِي:

الشيخُ مُحَمَّدٌ شاكرٌ وَكيلًا لِمَشيخَةِ الأَزهَرِ ومواقفه في الدينية والسياسية.

أولا: تعيينُ مُحمَّد شاكر الجرجاوي وكيلاً للجامعِ الأزهرِ الشَّريف

حَظِيَ الشَّيخُ مُحمَّدٌ شَاكِرٌ بِثِقَةِ القِيَادَةِ المِصْرِيَّةِ، مُمَثَّلَةً فِي مَجْلِسِ إِدَارَةِ الأَزْهَرِ وَالخِدْيَوِي، وَذَلِكَ نَظَرًا لِكَفَاءَتِهِ العِلْمِيَّةِ وَإِدَارَتِهِ الحَكِيمَةِ. "وَقَدْ تُوِّجَتْ هَذِهِ الثِّقَةُ بِندْبِهِ سَنَةَ ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م لِتَحَمُّلِ أَعْبَاءِ مَشِيخَةِ الأَزْهَرِ، نِيَابَةً عَنِ الشَّيخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشِّرْبِينِي (ت ١٣٣٤هـ ١٩٢٦م)[١]، بِالإِضَافَةِ إِلَى مَهَامِّهِ فِي مَشْيَخَةِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ. وَفِي سَنَةِ ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م، صَدَرَ القَرَارُ بِتَعْيِينِهِ وَكِيلًا لِمَشْيَخَةِ الجَامِعِ الأَزْهَرِ، وَهُوَ المَنْصِبُ الَّذِي يَعْكِسُ تَقْدِيرَ الدَّوْلَةِ لِدَوْرِهِ فِي الِارْتِقَاءِ بِالمُؤَسَّسَةِ الأَزْهَرِيَّةِ وَتَطْوِيرِ مَنَاهِجِهَا وَإِدَارَتِهَا. جَاءَ هَذَا التَّعْيِينُ تَتْوِيجًا لِمَسِيرَةٍ حَافِلَةٍ بِالعَطَاءِ، حَيْثُ أَثْبَتَ الشَّيْخُ مُحمَّدٌ شَاكِرٌ نَجَاحًا مُشْهُودًا فِي كُلِّ مَنْصِبٍ أُسْنِدَ إِلَيْهِ، جَامِعًا بَيْنَ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَالمُسَاهَمَةِ فِي الإِصْلَاحِ وَالنَّهْضَةِ التَّعْلِيمِيَّةِ[٢].

---

(١)الإمام الأكبر عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشربيني، فقيه شافعي، تلقى تعليمه بالأزهر. اشتهر بعلمه الغزير وضيقه الشديد بحركات التجديد. وُلِدَ بقرية شربين، وتولى مشيخة الأزهر عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م. وقف ضد إدخال العلوم الحديثة في الأزهر خشية أن تصرفهم هذه العلوم عن البحث في العلوم الشرعية والعربية. وقام بحرق بعض الكتب التي أُلفت في الإصلاح والتجديد، وقد فرح الخديوي بذلك كثيرًا. ومن مؤلفاته: "تقرير على حاشية البناني على شرح المحلى على جمع الجوامع للسبكي" في أصول الفقه، وكتاب "تقرير على حاشية عبد الحكم على شرح السالكوتي على شرح القطب على الشمسية في المنطق. محمد عبد المنعم خفاجي، على على صبح: "الأزهر في ألف عام"، ج٢، ص ١٠٢-١٠٨.

(٢) أحمد محمد شاكر: الجامع الصحيح، ص ٩٤، يوسف المرعشلى: نثر الجواهر والدرر، ص١٢١٩.

رِحْلَةُ الإِصْلَاحِ وتَطْوِيرِ التَّعْلِيمِ الأَزْهَرِيِّ فِي الوَجْهِ القِبْلِيِّ

أَصْدَرَ الخِدْيَوِيُّ عَبَّاسُ حِلْمِي الثَّانِي (١٨٩٢ –١٩١٤م) أَمْرًا بِتَكْلِيفِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى إِقْلِيمِ الوَجْهِ القِبْلِيِّ لِدِرَاسَةِ أَوْضَاعِ التَّعْلِيمِ الدِّينِيِّ فِيهِ، وَتَقْيِيمِ احْتِيَاجَاتِهِ. جَاءَتْ هَذِهِ الخُطْوَةُ ضِمْنَ جُهُودِ تَطْوِيرِ التَّعْلِيمِ الدِّينِيِّ فِي مِصْرَ، وَخُصُوصًا فِي المَنَاطِقِ البَعِيدَةِ، الَّتِي كَانَتْ تَفْتَقِرُ إِلَى مُؤَسَّسَاتٍ تَعْلِيمِيَّةٍ دِينِيَّةٍ مُنَظَّمَةٍ(١).

قَامَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ بِرِحْلَةٍ شَامِلَةٍ فِي الوَجْهِ القِبْلِيِّ، زَارَ خِلَالَهَا المَسَاجِدَ الكُبْرَى وَتَفَقَّدَ أَحْوَالَهَا بِدِقَّةٍ. وَكَانَ هَدَفُهُ الرَّئِيسِيُّ مِنْ هَذِهِ الزِّيَارَةِ تَقْيِيمَ إِمْكَانِيَّةِ إِنْشَاءِ مَعَاهِدَ دِينِيَّةٍ تَحْتَ إِشْرَافِ الأَزْهَرِ الشَّرِيفِ، وَذَلِكَ اِسْتِجَابَةً لِمُطَالَبَاتِ الأَهَالِي وَالأَعْيَانِ فِي تِلْكَ المَنَاطِقِ، الَّذِينَ كَانُوا يُنَادُونَ بِتَحْسِينِ فُرَصِ التَّعْلِيمِ الدِّينِيِّ لأَبْنَائِهِمْ. وَقَدْ أَظْهَرَتْ تَقَارِيرُهُ حَاجَةً مُلِحَّةً لِتَأْسِيسِ مَعَاهِدَ تَدُورُ وَفْقَ نِظَامٍ دِرَاسِيٍّ مُنَظَّمٍ، تَحْكُمُهُ مَنْهَجِيَّةُ الأَزْهَرِ وَإِشْرَافُهُ المُبَاشِرُ(٢).

بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنَ الرِّحْلَةِ، أَعَدَّ تَقْرِيرًا مُفَصَّلًا تَضَمَّنَ تَوْصِيَاتٍ بِشَأْنِ إِنْشَاءِ مَعَاهِدَ تَلْبِي احْتِيَاجَاتِ المَنْطِقَةِ، وَتَتَمَاشَى مَعَ رُؤْيَةِ الأَزْهَرِ فِي نَشْرِ التَّعْلِيمِ الدِّينِيِّ. وَقَدْ أُرْسِلَ هَذَا التَّقْرِيرُ إِلَى رِئَاسَةِ مَجْلِسِ النُّظَّارِ (مَجْلِسِ الوُزَرَاءِ)، وَبِنَاءً عَلَى تَوْصِيَاتِهِ، تَمَّتِ المُوَافَقَةُ عَلَى إِنْشَاءِ مَعْهَدٍ دِينِيٍّ فِي أَسْيُوطَ وَقِنَا(٣). وَلا جَرَمَ أَنَّ تِلْكَ المَعَاهِدَ الأَزْهَرِيَّةَ كَانَتْ نُقْطَةَ تَحَوُّلٍ فِي تَحْسِينِ التَّعْلِيمِ الدِّينِيِّ فِي الوَجْهِ القِبْلِيِّ، إِذْ وَفَّرَتْ فُرَصًا دِرَاسِيَّةً لِعَدِيدٍ مِنْ أَبْنَاءِ الصَّعِيدِ.

---

(١) يوسف المرعشلى: نثر الجواهر والدرر، ص١٢١٩.

(٢) أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص١٥، ١٦، يوسف المرعشلى: نثر الجواهر والدرر، ص١٢١٩.

(٣) يوسف المرعشلى: المرجع السابق، ص١٢١٩، محمد كامل الفقي: الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، ج٢، ص ١٨٨.

وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ، فَإِنَّ هَذِهِ الرِّحْلَةَ تَعْكِسُ الدَّوْرَ الرِّيَادِيَّ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ فِي إِصْلَاحِ التَّعْلِيمِ، مِنْ خِلَالِ دِرَاسَتِهِ العَمِيقَةِ لِلْوَاقِعِ، وَاسْتِجَابَتِهِ المُبَاشِرَةِ لِاحْتِيَاجَاتِ المُجْتَمَعِ. وَيَكْتَسِبُ هَذَا الدَّوْرُ أَهَمِّيَّةً خَاصَّةً، نَظَرًا لِكَوْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ يَنْتَمِي بِأُصُولِهِ إِلَى صَعِيدِ مِصْرَ، مِمَّا يُعَزِّزُ ارْتِبَاطَهُ الوَثِيقَ بِالمِنْطَقَةِ، وَيُفْسِحُ لَهُ المَجَالَ لِفَهْمٍ أَشْمَلَ وَأَعْمَقَ لِمُتَطَلَّبَاتِهَا.

بَعْدَ صُدُورِ قَانُونِ تَطْوِيرِ الْأَزْهَرِ عَامَ ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م وَالَّذِي أَسْفَرَ عَنْ تَشْكِيلِ هَيْئَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ، كَانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ مِنْ أَوَائِلِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ انْضَمُّوا إِلَيْهَا، إِذْ جَاءَ تَتْوِيجًا لِرِحْلَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِدَارِيَّةِ الْحَافِلَةِ. وَقَدْ أُسْنِدَتْ إِلَيْهِ مَهَمَّةُ تَنْفِيذِ هَذَا الْقَانُونِ، فَبَادَرَ إِلَى إِنْشَاءِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ، وَتَوَلَّى مَشْيَخَتَهُ إِلَى جَانِبِ عَمَلِهِ فِي وِكَالَةِ الْأَزْهَرِ(١).

وَرَغْمَ أَنَّ الْقَانُونَ تَضَمَّنَ بَعْضَ النُّظُمِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ رَاضِيًا عَنْهَا، إِذْ وُضِعَتْ دُونَ مُوَافَقَتِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدَّخِرْ جُهْدًا فِي تَخْفِيفِ آثَارِهَا وَتَصْحِيحِ مَسَارِهَا قَدْرَ الْإِمْكَانِ. وَقَدْ عُرِفَتْ عَنْهُ مَوَاقِفُ عَدِيدَةٌ وَمَشْهُورَةٌ فِي هَذَا الشَّأْنِ، تَجَسَّدَ فِيهَا حِرْصُهُ عَلَى إِصْلَاحِ التَّعْلِيمِ الْأَزْهَرِيِّ وَالْحِفَاظِ عَلَى أَصَالَتِهِ(٢).

وَفِي ضَوْءِ مَكَانَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ وَإِسْهَامَاتِهِ الْإِصْلَاحِيَّةِ، عُيِّنَ فِي الجَمْعِيَّةِ التَّشْرِيعِيَّةِ عَامَ ١٣٣١هـ / ١٩١٣م مُمَثِّلًا لِلْهَيْئَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، فَكَانَ لَهُ دَوْرٌ بَارِزٌ فِي تَوْجِيهِ السِّيَاسَاتِ التَّشْرِيعِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ لِصَالِحِ التَّعْلِيمِ الْأَزْهَرِيِّ وَالْفِكْرِ الإِسْلَامِيِّ (٣).

---

(١)أسامة أحمد شاكر: المرجع السابق، ص١٦، أسامة السيد محمود الأزهري: جمهرة أعلام الأزهر، ج٤، ص٢٢٧.

(٢)أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص١٦.

(٣)أحمد محمد شاكر: الجامع الصحيح، ص ٩٤، يوسف المرعشلى: نثر الجواهر والدرر، ص١٢١٩. أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص١٦، أسامة السيد محمود الأزهري: جمهرة أعلام الأزهر، ج٤، ص٢٢٧.

الشَّيخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ وَمَوقِفُهُ التَّارِيخِيُّ دِفَاعًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

يَروي لَنَا الشَّيخُ المُحَدِّثُ أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ(١٣٠٧-١٣٧٧هـ / ١٨٩٢-١٩٥٨م) [(١)]مَوقِفًا عَظِيمًا مِن مَوَاقِفِ وَالِدِهِ، الشَّيخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ، وَكِيلِ الأَزْهَرِ، حِينَ وَقَفَ بِشَجَاعَةٍ فِي وَجْهِ التَّجَاوُزِ فِي حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ، غَيرَ عَابِئٍ بِمَكَانَةِ أَصْحَابِ النُّفُوذِ، وَلا بِخَطَرِ المُوَاجَهَةِ.

كَانَ ذَلِكَ فِي أَوَائِلِ القَرنِ العِشْرِينَ، حِينَ كَانَ طَهَ حُسَيْنُ طَالِبًا فِي الجَامِعَةِ المِصْرِيَّةِ القَدِيمَةِ، خِلَالَ رِئَاسَةِ الأَمِيرِ فُؤَادٍ (الَّذِي أَصْبَحَ لَاحِقًا المَلِكَ فُؤَادَ الأَوَّلَ ١٩٢٢-١٩٣٦). وَعِندَمَا تَقَرَّرَ إِرْسَالُهُ فِي بَعثَةٍ إِلَى أُورُوبَّا، أَرَادَ السُّلْطَانُ حُسَيْنُ كَامِلٌ (١٩١٤-١٩١٧) تَكْرِيمَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ فِي قَصْرِهِ اسْتِقْبَالًا رَسْمِيًّا، وَمَنَحَهُ هَدِيَّةً قَيِّمَةً[(٢)].

---

(١) وُلِدَ العلَّامة الشيخ أحمد محمد شاكر عام ١٨٩٢م بمدينة القاهرة، ونشأ في بيئة علمية حيث سار على خُطى والده الشيخ محمد شاكر، فأصبح من علماء الأزهر الشريف. عُرف الشيخ أحمد شاكر بكونه ناقدًا وأديبًا وفقيهًا مبرزًا، واشتهر بلقبه "شمس الأئمة أبو الأشبال"، وكان من أئمة العصر الحديث في علم الحديث. بدأ رحلته العلمية في سن مبكرة؛ إذ التحق بكلية جوردن بالسودان وهو في الثامنة من عمره، ثم واصل دراسته في معهد الإسكندرية، وتلقى العلوم الإسلامية وعلوم الفقه على يد الشيخ محمود أبو دقيق. كما درس "سنن الترمذي" و"صحيح مسلم"، وتعمَّق في المذهب الحنفي داخل أروقة الأزهر الشريف، إلى أن نال شهادة "العالمية" عام ١٩١٧م. تتلمذ الشيخ أحمد شاكر على أيدي نخبة من كبار العلماء، من أبرزهم: الشيخ أحمد بن الشمسي الشنقيطي، والسيد محمد رشيد رضا، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وغيرهم. وقد تولَّى الشيخ أحمد محمد شاكر منصب القضاء، وترك تراثًا علميًّا زاخرًا، من أبرز مؤلفاته: "كلمة الفصل في قتل مدمن الخمر"، وتحقيقه لكتاب "المسند" للإمام أحمد بن حنبل، الذي اعتُبر من أنضج الأعمال في العصر الحديث في علم تحقيق الحديث. كما قام بتحقيق كتاب "الرسالة" للإمام الشافعي.أسامة أحمد شاكر: "من أعلام العصر"، ص٢٩، ٣٠، ٣١، ٤٧، ٥١.

(٢) أحمد محمد شاكر: كَلِمَةُ الحَقِّ، مَكْتَبَةُ السُّنَّةِ، دَارُ الثَّقَافَةِ، ص ١٤٩.

وفِي تِلكَ الفَترَةِ، كَانَ مِن خُطَبَاءِ وزَارَةِ الأَوْقَافِ رَجُلٌ يُدْعَى الشَّيخُ مُحَمَّدُ المَهْدِيُّ، وَهُوَ خَطِيبُ مَسْجِدِ عَزْبَانَ، وكَانَ خَطِيبًا فَصِيحًا. وقَدْ نَدَبَتْهُ الوِزَارَةُ لِإِلْقَاءِ خُطْبَةِ الجُمُعَةِ فِي مَسْجِدِ المُبْدُولِيِّ، القَرِيبِ مِن قَصْرِ عَابِدِينَ، بِحُضُورِ السُّلْطَانِ حُسَيْنٍ كَامِلٍ، الَّذِي كَانَ مُوَاظِبًا عَلَى صَلَاةِ الجُمُعَةِ فِي مَوكِبٍ مَهِيبٍ يَحْضُرُهُ العُلَمَاءُ والوُزَرَاءُ وكِبَارُ رِجَالِ الدَّولَةِ، فلمّا صَعِدَ الخَطِيبُ إِلَى المِنبَرِ، أَرَادَ أَنْ يَمْدَحَ السُّلْطَانَ، فَبَالَغَ فِي الثَّنَاءِ حَتَّى خَانَهُ تَعْبِيرُهُ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: "جَاءَهُ الأَعْمَى، فَمَا عَبَسَ فِي وَجْهِهِ وَمَا تَوَلَّى"! وكَانَ يَقْصِدُ مَدْحَ السُّلْطَانِ حُسَيْنٍ كَامِلٍ، مُقَارَنَةً بِمَوقِفِ النَّبِيِّ ﷺ، الَّذِي عَاتَبَهُ اللَّهُ فِي سُورَةِ عَبَسَ حِينَ جَاءَهُ الصَّحَابِيُّ الجَلِيلُ عَبدُ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وكَانَ النَّبِيُّ مَشْغُولًا بِدَعْوَةِ كِبَارِ قُرَيْشٍ إِلَى الإِسْلَامِ (١).

ولَكِنَّ مَا قَالَهُ الخَطِيبُ كَانَ إِسَاءَةً ضِمْنِيَّةً لِلنَّبِيِّ ﷺ، حَيْثُ جَعَلَ السُّلْطَانَ فِي مَوْضِعٍ أَفْضَلِيَّةٍ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَا يُعَدُّ كُفْرًا صَرِيحًا، حَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ مَقْصُودًا بِذَلِكَ التَّصْرِيحُ.

وكَانَ الشَّيخُ مُحَمَّدُ شَاكِرٌ حَاضِرًا فِي المَسْجِدِ، وَمَا إِنِ انْتَهَتِ الصَّلَاةُ، حَتَّى وَقَفَ فِي النَّاسِ مُعْلِنًا بِوُضُوحٍ: "إِنَّ صَلَاتَكُمْ بَاطِلَةٌ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تُعِيدُوهَا ظُهْرًا"، مُؤَكِّدًا أَنَّ مَا صَدَرَ عَنِ الخَطِيبِ كُفْرٌ صَرِيحٌ فِيهِ انْتِقَاصٌ مِن مَقَامِ النَّبِيِّ ﷺ. فَامْتَثَلَ المُصَلُّونَ لِلأَمْرِ، وَأَعَادُوا الصَّلَاةَ، فِي مَوقِفٍ نَادِرٍ مِن الإِجْلَالِ لِمَكَانَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالغَيْرَةِ عَلَى الدِّينِ(٢).

ولَمْ يَكْتَفِ الشَّيخُ مُحَمَّدُ شَاكِرٌ بِذَلِكَ، بَلْ تَوَجَّهَ فَوْرًا إِلَى قَصْرِ عَابِدِينَ، حَيْثُ التَقَى مَحْمُودَ شُكْرِي بَاشَا، رَئِيسَ الدِّيوَانِ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَرْفَعَ الأَمْرَ إِلَى السُّلْطَانِ حُسَيْنٍ كَامِلٍ، لِيُبَلِّغَهُ بِحُكْمِ الشَّرْعِ فِي هَذِهِ الوَاقِعَةِ، مُؤَكِّدًا أَنَّ صَلَاةَ السُّلْطَانِ نَفْسِهِ قَدْ بَطَلَتْ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ إِعَادَتُهَا. وقَدْ قَبِلَ السُّلْطَانُ حُكْمَ الشَّرْعِ وَأَعَادَ الصَّلَاةَ (٣).

---

(١) أحمد محمد شاكر: كَلِمَةُ الحَقِّ، مَكْتَبَةُ السُّنَّةِ، دَارُ الثَّقَافَةِ، ص ١٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٠، ١٥١.

لَمْ يَتَقَبَّلِ الشَّيخُ مُحَمَّدُ المَهْدِيُّ مَا جَرَى، خُصُوصًا أَنَّ هَذِهِ الوَاقِعَةَ كَانَتْ سَبَبًا فِي سُقُوطِهِ مِنْ مَكَانَتِهِ، إِذْ أُعْفِيَ مِنَ الخِطَابَةِ وَلَمْ تَقُمْ لَهُ قَائِمَةٌ بَعْدَهَا. وَلِأَنَّهُ كَانَ عَلَى صِلَةٍ بِبَعْضِ المُسْتَشَارِينَ الكِبَارِ، فَقَدْ رَفَعَ دَعْوَى قَضَائِيَّةً ضِدَّ الشَّيخِ مُحَمَّدِ شَاكِرٍ، مُتَّهِمًا إِيَّاهُ بِـ"السَّبِّ العَلَنِيِّ" فِي المَسْجِدِ وَفِي قَصْرِ السُّلْطَانِ(١).

وَرَغْمَ الضُّغُوطِ، لَمْ يُبَالِ الشَّيخُ مُحَمَّدُ شَاكِرٌ بِالقَضِيَّةِ، وَلَمْ يَخْشَ نُفُوذَ المُدَّعِينَ، بَلْ وَكَّلَهَا لِصَدِيقِهِ المُحَامِي مُحَمَّدِ بَك أَبُو شَادِي. وَكَانَ مَوقِفُهُ وَاضِحًا: لَا يُمْكِنُ الِاحْتِكَامُ إِلَى عُلَمَاءِ الأَزْهَرِ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ، لِأَنَّ حُكْمَ الشَّرْعِ فِي التَّعْرِيضِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعْرُوفٌ لِلعَامَّةِ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى اجْتِهَادٍ خَاصٍّ. وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، طَلَبَ الشَّيخُ أَنْ يُحْكَمَ فِي القَضِيَّةِ وَفْقَ رَأْيِ المُسْتَشْرِقِينَ الأَجَانِبِ، الَّذِينَ لَا يُمْكِنُ اتِّهَامُهُمْ بِالتَّحَيُّزِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، حَتَّى يَكُونَ حُكْمُهُمْ شَهَادَةً نَزِيهَةً أَمَامَ المَحْكَمَةِ(٢).

وَبَعْدَ مُرُورِ بُضْعِ سِنِينَ، رَأَى الشَّيخُ أحمد مُحَمَّدُ شَاكِرٌ ذَلِكَ الخَطِيبَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى المِنْبَرِ، وَلَا فِي أَيِّ مَقَامٍ رَفِيعٍ، بَلْ كَانَ يَقِفُ عَلَى بَابِ أَحَدِ مَسَاجِدِ القَاهِرَةِ، يَجْمَعُ نِعَالَ المُصَلِّينَ وَيَحْفَظُهَا لَهُمْ فِي ذِلَّةٍ وَمَهَانَةٍ. فَلَمَّا رَآهُ الشَّيخُ، أَشَاحَ عَنْهُ خَجَلًا، إِذْ لَمْ يَشَأْ أَنْ يُحْرِجَهُ بِمُوَاجَهَتِهِ فِي حَالَتِهِ تِلْكَ، وَقَدْ صَارَ عِبْرَةً لِمَنْ يَعْتَبِرُ(٣). رَحِمَ اللَّهُ الشَّيخَ مُحَمَّدَ شَاكِرٍ، وَجَزَاهُ عَنِ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِينَ خَيْرَ الجَزَاءِ.

الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ ودفاعه عن قضايا الأمة الإسلامية

رَغْمَ أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدًا شَاكِرًا تَرَكَ الْمَنَاصِبَ الرَّسْمِيَّةَ مُنْذُ عَامِ ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م وَتَحَرَّرَ مِنْ قُيُودِهَا، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُفَّ عَنْ جِهَادِهِ الْحُرِّ فِي سَبِيلِ اللهِ وَرِفْعَةِ الْإِسْلَامِ. فَقَدْ سَخَّرَ قَلَمَهُ فِي الصُّحُفِ لِكِتَابَةِ مَقَالَاتٍ رَنَّانَةٍ، وَكَانَ لَا يَدَعُ مَسْأَلَةً شَرْعِيَّةً أَوْ اِجْتِمَاعِيَّةً أَوْ سِيَاسِيَّةً يَهُمُّ بِهَا الْمُسْلِمُونَ وَيَثُورُ حَوْلَهَا الْجَدَلُ إِلَّا وَأَدْلَى فِيهَا بِقَوْلِهِ، صَادِعًا بِمَا أَمَرَ اللهُ، غَيْرَ عَابِئٍ بِالْمُنْكِرِينَ.

---

(١) أحمد محمد شاكر: كَلِمَةُ الحَقِّ ، ص ١٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥١، ١٥٢.

(٣) المصدر السابق، ص١٥٢، ١٥٣.

وَكَانَتْ مِنْ أَبْرَزِ صِفَاتِهِ صَلَابَتُهُ فِي الدِّينِ وَشَجَاعَتُهُ فِي الرَّأْيِ، إِذْ كَانَ يَخْشَى مَا حَلَّ بِالْأُمَّةِ مِنْ تَفَكُّكٍ وَتَمَزُّقٍ، بِسَبَبِ بِدَعِ الْقَوْمِيَّاتِ الَّتِي اِخْتَرَعَتْهَا أُورُبَّا لِتَفْرِيقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَإِثَارَةِ الصِّرَاعِ بَيْنَهُمْ(١).

سماحةُ الشَّيخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ فِي تَقَبُّلِ الْخِلَافِ وَمُرُونَةِ الرَّأْيِ فِي مَصَالِحِ الْأُمَّةِ

يَرْوِي أَحْمَدُ شَاكِر قَائِلًا: "كثيرًا ما يثورُ الجدلُ حولَ إثباتِ أوائلِ الشهورِ العربيةِ، بالرُّؤْيَةِ أَم بِالْحِسَابِ وقد كتبَ الناسُ في هذا الأمرِ مرارًا، وكنتُ ممن كتبوا فيه مُتَبَنِّيًا رأيَ التمسكِ بالرؤيةِ وحدها، وهو ذاتُ الرأيِ الذي كان يعتنقُه والدي، الشيخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ، رحمهُ اللهُ، حتى إنَّهُ كتبَ فيهِ وشدَّدَ على التمسكِ به.

غير أن مع مرورِ الوقتِ بدا لي رأيٌ آخرُ خلالَ حياةِ والدي، فنشرتُ في ذي الحجةِ ١٣٥٧هـ (فبرايرَ ١٩٣٩م) رسالةً صغيرةً بعنوان "أوائلُ الشهورِ العربيةِ"، قلتُ فيها: "لقد كان للشيخِ مُحَمَّدٍ المُرَاغِي (١٢٩٨-١٣٦٤هـ / ١٨٨١-١٩٤٥م)، حين كان رئيسَ المحكمةِ العليا الشرعيةِ قبلَ أكثرَ من عشرِ سنواتٍ، رأيٌ يُجيزُ ردَّ شهادةِ الشهودِ إذا ثبتَ بالحسابِ عدمُ إمكانيةِ رؤيةِ الهلال. وكان والدي، وأنا وبعضُ إخواني، من المخالفينَ لهذا الرأي. لكنني أُقِرُّ الآن بأنَّ الشيخَ المراغي كان على صوابٍ، بل وأرى وجوبَ الأخذِ بالحسابِ الفلكيِّ في إثباتِ الأهلةِ في كلِّ الأحوال، إلا لمن استعصى عليه العلمُ به." (٢).

والمُلفتُ أنَّ والدي رحمهُ اللهُ رغمَ تمسُّكِهِ برأيِهِ، لم يتعصَّبْ لهُ، ولم يمتعضْ من تغييري لموقفي، بل كان يتقبَّلُ الخلافَ بصدرٍ رحبٍ، ويُدركُ أنَّ الاجتهادَ في المصالحِ يَسَعُ الآراءَ المتعددةَ، ما دامَ مبنيًّا على أسسٍ علميةٍ رصينةٍ. وهكذا كان

---

(١) المصدر نفسه، ص١٥٢، ١٥٣، أسامة أحمد شاكر: المرجع السابق، ص ١٦، ١٧.

(٢) ابن قتيبة الدينوري: عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم (٢١٣ - ٢٧٦هـ / ٨٢٨ - ٨٨٩م)، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر الجرجاوي، ج١، ، دار المعارف، القاهرة، مقدمة المحقق، ص٣٣.

نموذجًا للعالِمِ المتجرِّدِ الذي يغلِّبُ الحقَّ على الهوى، ويَعتبرُ الحوارَ العلميَّ سبيلاً للوصولِ إلى الصوابِ لا ميدانًا للتعصُّبِ أو النزاعِ"[1].

دَوْرُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ فِي ثَوْرَةِ الشَّعْبِ عَامَ ١٩١٩م

عِنْدَمَا قَامَتْ ثَوْرَةُ ١٩١٩م، كَانَ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ دَوْرٌ بَارِزٌ فِيهَا، فَقَدْ تَقَدَّمَ الصُّفُوفَ وَقَادَ عُلَمَاءَ الأَزْهَرِ فِي حِرَاكِهِمْ الْوَطَنِيِّ، وكَانَ لَا يَخْشَى فِي الْحَقِّ لَوْمَةَ لَائِمٍ، فَيُبَيِّنُ الصَّوَابَ وَيَنْتَقِدُ الْخَطَأَ، مِمَّا دَفَعَ بَعْضَ النَّاسِ إِلَى الظَّنِّ بِأَنَّهُ يُوَالِي جِهَةً مُعَيَّنَةً أَوْ يَنْحَازُ إِلَى أَحْزَابٍ أَوْ زُعَمَاءَ دُونَ غَيْرِهِمْ، فِي حِينِ أَنَّهُ كَانَ مُجَرَّدَ النَّظَرِ إِلَّا عَنِ الْحَقِّ وَمَصْلَحَةِ الْوَطَنِ وَالدِّينِ[2].

أَثَرُهُ العِلْمِيُّ وَمُؤَلَّفَاتُهُ

عُرِفَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ بِعِلْمِهِ الغَزِيرِ وَمَعْرِفَتِهِ الدَّقِيقَةِ بِالشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، فَكَانَ فَقِيهًا ضَلِيعًا، وَمُفَسِّرًا مُتَعَمِّقًا فِي كِتَابِ اللهِ، يُدْرِكُ دَقَائِقَهُ وَيَتَفَطَّنُ لِكَرِيمِ مَغْزَاهُ، كَمَا تَمَيَّزَ بِإِجَادَتِهِ لِلْمَنْطِقِ وَالْأُصُولِ وَالْحَدِيثِ، وَكَانَتْ لَهُ لَفْتَاتٌ عِلْمِيَّةٌ دَالَّةٌ عَلَى بُعْدِ غَوْرِهِ وَصَفَاءِ ذِهْنِهِ.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذِهِ الثَّرَاءَاتِ العِلْمِيَّةِ، لَمْ يَكُنْ مِنَ المُكْثِرِينَ فِي التَّأْلِيفِ وَالتَّصْنِيفِ، إِلَّا أَنَّهُ تَرَكَ لِلْمَكْتَبَةِ الإِسْلَامِيَّةِ مُؤَلَّفَاتٍ نَافِعَةً فِي مَجَالَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، شَمِلَتِ الْمَنْطِقَ وَالعَقِيدَةَ وَالفِقْهَ وَالسِّيرَةَ النَّبَوِيَّةَ، وَمِنْ أَبْرَزِ تِلْكَ المُؤَلَّفَاتِ:

* الإِيضَاحُ لِمَتْنِ إِيسَاغُوجِي (فِي الْمَنْطِقِ).
* الدُّرُوسُ الْأُولِيَّةُ فِي العَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ.

---

(١) المصدر السابق والجزء والصفحة، أحمد محمد شاكر: أَوَائِلُ الشُّهُورِ العَرَبِيَّةِ، مَطْبَعَةُ مُصْطَفَى البَابِي الحَلَبِي، القَاهِرَةُ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م، ص١٥-١٧.

(٢) يوسف المرعشلى: نثر الجواهر والدرر، ص١٢١٩، أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص١٧.

* القَوْلُ الفَصْلُ فِي تَرْجَمَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ إِلَى اللُّغَاتِ الأَعْجَمِيَّةِ – وَهُوَ مُؤَلَّفٌ تَصَدَّى فِيهِ لِمُحَاوَلَاتِ تَرْجَمَةِ القُرْآنِ إِلَى اللُّغَاتِ الأُخْرَى، مُؤَكِّدًا حُرْمَتَهَا القَاطِعَةَ، وَمُسْتَنِدًا فِي ذَلِكَ إِلَى الأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ.

* خُلَاصَةُ الإِمْلَاءِ – كِتَابٌ مُبَسَّطٌ فِي قَوَاعِدِ الإِمْلَاءِ.

* مِنَ الحِمَايَةِ إِلَى السِّيَادَةِ فَالكَلِمَةُ الآنَ لِمِصْرَ – وَهُوَ كُتَيِّبٌ جَمَعَ فِيهِ مَقَالَاتِهِ السِّيَاسِيَّةَ الَّتِي دَافَعَ فِيهَا عَنْ حُرِّيَّةِ مِصْرَ وَاستِقْلَالِهَا.

* السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ.

* الأَخْلَاقُ المَرْضِيَّةُ.

*وَصَايَا الآبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ.

* الشَّرْحُ التَّفْصِيلِيُّ لِمُذَكِّرَةِ الاتِّفَاقِ "مُذَكِّرَةُ اللُّورْدِ مِلْنَر"[1].

أَثَرُهُ فِي المَقَالَاتِ وَالسِّيَاسَةِ

لَمْ تَقْتَصِرْ مُسَاهَمَاتُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ عَلَى التَّأْلِيفِ فَقَطْ، بَلْ كَانَ لَهُ حُضُورٌ بَارِزٌ فِي المَجَالِ الصَّحَافِيِّ، حَيْثُ تَمَرَّسَ فِي كِتَابَةِ المَقَالَاتِ الَّتِي تُعَالِجُ القَضَايَا الاجْتِمَاعِيَّةَ وَالسِّيَاسِيَّةَ، وَاتَّسَمَتْ بِالصِّدْقِ وَالقُوَّةِ الجَدَلِيَّةِ، وَكَانَ يُنَاقِشُ القَضَايَا الدُّسْتُورِيَّةَ وَالقَانُونِيَّةَ بِإِجَادَةٍ تُضَاهِي كِبَارَ المُتَخَصِّصِينَ فِي القَانُونِ وَالدُّسْتُورِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَتَلَقَّ تَعْلِيمًا فِي هَذِهِ المَجَالَاتِ، وَهَذَا مَا أَثَارَ دَهْشَةَ مَعَاصِرِيهِ.

وَكَانَتْ مَقَالَاتُهُ تُتَلَقَّفُ بِشَوْقٍ كَبِيرٍ فِي العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ، حَتَّى إِنَّ حَاجَ حُسَيْنِ الحَاجِ عَلَاوِي بِبَغْدَادَ كَانَ يَقُولُ:

"فَحِينَ يَصِلُ جَرِيدَةُ المُقَطَّمِ فِي البَرِيدِ، نَفْتَحُ أَعْدَادَهَا بِلَهْفَةٍ شَدِيدَةٍ، وَنَتَصَفَّحُ مَقَالَاتِهَا، لَعَلَّنَا نَجِدُ مَقَالَةً لِحَضْرَةِ الشَّيْخِ مَذَيَّلَةً بِإِمْضَائِهِ، فَإِذَا وَجَدْنَا، فَذَلِكَ اليَوْمُ مِنْ أَسْعَدِ أَيَّامِنَا!"

---

(١) يوسف المرعشلي: نثر الجواهر والدرر، ص١٢١٩، أسامة السيد محمود الأزهري: جمهرة أعلام الأزهر، ج٤، ص٢٢٧.

كَذَلِكَ نَشَرَ مَقَالاَتِهِ فِي "مَجَلَّةِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ"، وَتَنَاوَلَ فِيهَا مُنَاقَشَةَ بَعْضِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَتَوْجِيهَا التَّوْجِيهَ الصَّحِيحَ، مِمَّا أَضْفَى عَلَى إِنْتَاجِهِ العِلْمِيِّ وَالسِّيَاسِيِّ بُعْدًا تَأْصِيلِيًّا وَإِصْلَاحِيًّا كَبِيرًا(١).

زُهْدُهُ فِي الْمَنَاصِبِ وَوَفَاتُهُ

رَغْمَ دَوْرِهِ الْكَبِيرِ، فَقَدْ زَهِدَ فِي الْمَنَاصِبِ، فَرَفَضَ مَشْيَخَةَ الأَزْهَرِ، وَقَضَى سِنَوَاتِهِ الأَخِيرَةَ مُعْتَكِفًا بَعْدَ أَنْ أَصَابَهُ مَرَضٌ شَدِيدٌ، حَتَّى تُوُفِّيَ فِي ١١ جُمَادَى الْأُولَى ١٣٥٨هـ/ ٢٩ يُونْيُو ١٩٣٩م. وَخَلَّفَ أَبْنَاءً بَارِّينَ بِالْعِلْمِ وَالأَدَبِ، أَبْرَزُهُمَا: الشَّيْخُ أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ إِمَامُ الْمُحَدِّثِينَ، وَالشَّيْخُ مَحْمُودٌ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ الأَدِيبُ الْكَبِيرُ وَعُضْوُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ(٢).

(١) محمد كامل الفقي: الأزهر وأثره في النهضة الأدبية،ج٢،ص ١٨٩.

(٢) يوسف المرعشلى: نثر الجواهر والدرر، ص١٢١٩، أسامة أحمد شاكر: من أعلام العصر، ص٢٠.

خَاتِمَةُ:

بِحَمْدِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ، انْتَهَيْتُ مِنْ إِنْجَازِ هَذَا البَحْثِ، وَقَدْ تَوَصَّلْنَا مِنْ خِلَالِهِ إِلَى عَدَدٍ مِنَ النَّتَائِجِ المُهِمَّةِ، نَعْرِضُهَا –عَلَى سَبِيلِ الإِيجَازِ– فِي النِّقَاطِ الآتِيَةِ:

١–بَيَّنَتِ ٱلدِّرَاسَةُ أَنَّ مَدِينَةَ جِرْجَا لَمْ تَكُنْ مَجَرَّدَ مَسْقَطِ رَأْسٍ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ، بَلْ كَانَتْ بِيئَةً عِلْمِيَّةً خَصْبَةً أَسْهَمَتْ فِي تَكْوِينِهِ ٱلْفِكْرِيِّ وَٱلدِّينِيِّ، وَمَهَّدَتِ ٱلطَّرِيقَ أَمَامَهُ لِيَكُونَ مِنْ أَعْلَامِ ٱلْإِصْلَاحِ فِي عَصْرِهِ.

٢–أَكَّدَتِ ٱلدِّرَاسَةُ أَنَّ ٱلشَّيْخَ مُحَمَّدًا شَاكِرًا، فِي كُلِّ مَنْصِبٍ تَقَلَّدَهُ، كَانَ يَنْهَضُ بِوَاجِبِهِ بِرُوحِ ٱلْإِصْلَاحِ وَرُؤْيَةِ ٱلتَّغْيِيرِ ٱلْجُذْرِيِّ. فَقَدْ دَعَا فِي مَجَالِ ٱلْإِفْتَاءِ إِلَى ٱلتَّوَسُّعِ فِي ٱلْمَذَاهِبِ وَتَغْلِيبِ مَصَالِحِ ٱلنَّاسِ، وَفِي ٱلْقَضَاءِ شَخَّصَ ٱلْعُيُوبَ وَطَرَحَ رُؤْيَةً إِصْلَاحِيَّةً لِتَطْوِيرِ ٱلْمَحَاكِمِ، كَمَا أَصْدَرَ نِظَامًا دَقِيقًا فِي ٱلسُّودَانِ لِضَبْطِ ٱلْقَضَاءِ وَٱلِارْتِقَاءِ بِهِ.

٣– أكدت الدارسةُ أنَّ الشيخَ محمد شاكر يعدُّ أَحَدَ الرُّوَّادِ الحَقِيقِيِّينَ لِحَرَكَةِ التَّحْدِيثِ فِي التَّعْلِيمِ الأَزْهَرِيِّ إذ أدخل العلومَ الحديثةَ ضمنَ مناهجه. وبهذا، يُعَدُّ مِمَّنْ مَهَّدُوا الطَّرِيقَ لِتَحَوُّلَاتٍ تَرْبَوِيَّةٍ كُبْرَى شَهِدَهَا الأَزْهَرُ فِي مَا بَعْدُ.

٤–سَعَى الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ إِلَى التَّرْوِيجِ لِدَوْرِ الأَزْهَرِ الشَّرِيفِ وَتَعْزِيزِ مَكَانَتِهِ فِي المُجْتَمَعِ، فَنَظَّمَ حَفْلَاتٍ لِتَكْرِيمِ الطُّلَّابِ المُتَفَوِّقِينَ، يَحْضُرُهَا أَعْيَانُ مِصْرَ وَوُجَهَاؤُهَا، وَاسْتَغَلَّ هَذِهِ الفَعَّالِيَّاتِ لِلدِّفَاعِ عَنْ الإِسْلَامِ وَرَدِّ الشُّبُهَاتِ المُثَارَةِ حَوْلَهُ، مُؤَكِّدًا دَوْرَ الأَزْهَرِ فِي خِدْمَةِ الدِّينِ وَالوَطَنِ.

٥–كَشَفَتِ الدِّرَاسَةُ أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدًا شَاكِرًا يَمْتَلِكُ شَجَاعَةً فِكْرِيَّةً نَادِرَةً؛ إِذْ لَمْ يَتَرَدَّدْ فِي مُخَالَفَةِ مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ مَنْصِبًا حِينَ كَانَ يَشْغَلُ وَظِيفَةَ "أَمِينِ الفَتْوَى". وَقَدِ اصْطَدَمَ بِالنُّفُوذِ البِرِيطَانِيِّ فِي السُّودَانِ، كَمَا وَاجَهَ خَطِيبًا جَامِلَ الخِدْيَوِيَّ وَفَضَّلَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

٦–أوضحتِ الدِّراسةُ أنَّ الشَّيخَ مُحَمَّدًا شَاكِرًا الجَرْجَاوِيَّ، رَغْمَ تَرْكِهِ الْمَنَاصِبَ الرَّسْمِيَّةَ مُنْذُ عَامِ ١٣٣١هـ/١٩١٣م، لَمْ يَتَوَقَّفْ عَنْ جِهَادِهِ الْحُرِّ فِي سَبِيلِ

اللهِ ورِفْعَةِ الْإِسْلَامِ، بَلْ سَخَّرَ قَلَمَهُ الْحُرَّ لِلدِّفَاعِ عَنْ قَضَايَا الْأُمَّةِ، فَكَتَبَ الْمَقَالَاتِ الرَّنَّانَةَ، صَادِعًا بِالْحَقِّ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ شَرْعِيَّةٍ أَوْ اِجْتِمَاعِيَّةٍ أَوْ سِيَاسِيَّةٍ تَهُمُّ الْمُسْلِمِينَ، غَيْرَ عَابِئٍ بِالْمُنْكِرِينَ. وَقَدْ تَمَيَّزَ بِصَلَابَتِهِ فِي الدِّينِ وَشَجَاعَتِهِ فِي الرَّأْيِ، مُحَذِّرًا مِنْ خَطَرِ تَفَكُّكِ الْأُمَّةِ وَتَمَزُّقِهَا بِسَبَبِ بُدَعِ الْقَوْمِيَّاتِ الَّتِي اِخْتَرَعَتْهَا أُورُبَّا لِتَفْرِيقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَإِثَارَةِ الصِّرَاعِ بَيْنَهُمْ.

٧- اثبتت الدراسة أَنَّهُ عِنْدَمَا يَتَصَدَّرُ أَهْلُ التَّمَيُّزِ وَالكَفَاءَةِ المَشْهَدَ، يُحَقِّقُونَ النَّجَاحَ، وَيَتْرُكُونَ أَثَرًا إِيجَابِيًّا فِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ، بَيْنَمَا عِنْدَمَا يَتَصَدَّرُ الضُّعَفَاءُ وَغَيْرُ المُؤَهَّلِينَ، تَكُونُ النَّتِيجَةُ مُخَيِّبَةً لِلْآمَالِ. وَهَذِهِ مِنَ السُّنَنِ الكَوْنِيَّةِ الَّتِي تَحْكُمُ مَسَارَ الحَيَاةِ وَالتَّارِيخِ. وَمِنْ هَذَا المُنْطَلَقِ، كَانَ لِزَامًا عَلَى المُسْلِمِينَ أَنْ يُدْرِكُوا أَهَمِّيَّةَ عِلْمِ السُّنَنِ الكَوْنِيَّةِ، وَأَنْ يَمْتَلِكُوا أَسْبَابَ القُوَّةِ فِي جَمِيعِ المَجَالَاتِ لِحِمَايَةِ دِينِهِمْ، وَوَطَنِهِمْ، وَمُكْتَسَبَاتِهِمُ الحَضَارِيَّةِ. إِنَّ بِنَاءَ الأُمَمِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِسَوَاعِدِ العُلَمَاءِ وَالمُصْلِحِينَ، الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِوَعْيٍ وَإِخْلَاصٍ لِنَهْضَةِ مُجْتَمَعَاتِهِمْ، وَهَذَا مَا جَسَّدَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ فِي مَسِيرَتِهِ العِلْمِيَّةِ وَالقَضَائِيَّةِ، فَكَانَ عَلَمًا مِنْ أَعْلَامِ الإِصْلَاحِ فِي عَصْرِهِ، وَنَمُوذَجًا يُحْتَذَى فِي العِلْمِ وَالاجْتِهَادِ وَالتَّجْدِيدِ.

وَخِتَامًا، يَنْبَغِي الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الاسْتِنْتَاجَاتِ وَالخُلَاصَاتِ الَّتِي تَوَصَّلْنَا إِلَيْهَا بَعْدَ دِرَاسَةِ سِيرَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ الجُرْجَاوِيِّ، لَا تَعُدُّ نِهَايَةً لِلبَحْثِ فِي مَسِيرَةِ المُصْلِحِينَ مِنْ أَبْنَاءِ مَدِينَةِ جُرْجَا العَرِيقَةِ، بَلْ هِيَ بَدَايَةٌ وَاعِدَةٌ لِانْطِلَاقِ دِرَاسَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ أُخْرَى، تُسْهِمُ فِي فَتْحِ آفَاقٍ جَدِيدَةٍ لِلوَعْيِ التَّارِيخِيِّ، وَتُبْرِزُ الإِمْكَانَاتِ الكَامِنَةَ فِي هَذِهِ المَدِينَةِ ذَاتِ الإِرْثِ الحَضَارِيِّ.

وإذ نؤكّدُ على ذلك، فَإِنَّنا نؤمنُ بأنَّ التَّاريخَ شُعَاعٌ مِنَ المَاضِي يُنِيرُ الحَاضِرَ وَالمُسْتَقْبَلَ، وأنَّ الأممَ إنما تعني بتاريخ عظمائها وذوي الرأي فِيهَا، ممن أسهموا في تطويرِ المجتمعاتِ وتَغييرِ مسيرةِ التَّاريخِ.

ثَبْتُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ

القُرْآنُ الكَرِيمُ: جَلَّ مَنْ أَنْزَلَهُ.

أولا: المَخْطُوطَاتُ:

المَرَاغِي: مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدٍ المُرَاغِيُّ الجِرْجَاوِيُّ (ت١٣٦١هـ /١٩٤٢م): خُلَاصَةُ تَعْطِيرِ النَّوَاحِي وَالأَرْجَاءِ بِذِكْرِ مَنْ اشْتَهَرَ مِنْ عُلَمَاءِ وَأَعْيَانِ مَدِينَةِ الصَّعِيدِ جِرْجَا، مَخْطُوطٌ بِدَارِ الكُتُبِ المِصْرِيَّةِ، تَحْتَ رَقْمِ ٥٥١٧ "تَارِيخ"، مِيكْرُوفِيلْم ١٦٤٠.

ثانيا: الْمَصَادِرُ الْمَطْبُوعَةُ:

أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ:

١- الجَامِعُ الصَّحِيحُ، وَهُوَ سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ لِأَبِي عِيسَى مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ سُورَةَ (٢٠٩-٢٧٩هـ / ٨٢٤-٨٩٢م)، تَحْقِيقٌ وَشَرْحٌ أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ، مَكْتَبَةُ مُصْطَفَى الحَلَبِيِّ، مِصْر، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

٢- نِظَامُ الطَّلَاقِ فِي الإِسْلَامِ، مَكْتَبَةُ السُّنَّةِ.

٣- كَلِمَةُ الحَقِّ، مَكْتَبَةُ السُّنَّةِ، دَارُ الثَّقَافَةِ.

٤- أَوَائِلُ الشُّهُورِ العَرَبِيَّةِ ، مَطْبَعَةُ مُصْطَفَى البَابِي الحَلَبِي، القَاهِرَةُ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.

ابْنُ قُتَيْبَةَ الدِّينُورِيُّ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ المَجِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ (٢١٣ - ٢٧٦هـ / ٨٢٨ - ٨٨٩م).

٥- الشِّعْرُ وَالشُّعَرَاءُ، تَحْقِيقٌ وَشَرْحٌ: أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٌ الجِرْجَاوِيُّ، ج١، دَارُ المَعَارِفِ، القَاهِرَةُ.

المراغي: محمد بن محمد بن حامد المراغي الجرجاوي (ت ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م):

٦- سُلافة الشَّراب الصافي البَكري في ترجمةِ علّامة جرجا بل علّامة الصعيد الشيخ عبد المنعم أبي بكر، تحقيق، أحمد حسن النمكي، مكتبة المهندس سوهاج، ١٩٩٤م.

ثالثا: المَرَاجِعُ:

أُسَامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرُ:

١- مِنْ أَعْلَامِ العَصْرِ، الطَّبْعَةُ الأُولَى، ٢٠٠١م.

أُسَامَةُ السَّيِّدِ مَحْمُودِ الأَزْهَرِيِّ:

٢- جُمْهَرَةُ أَعْلَامِ الأَزْهَرِ فِي القَرْنَيْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ وَالخَامِسِ عَشَرَ الهِجْرِيَّيْنِ، مَكْتَبَةُ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، ٢٠١٩م.

أَحْمَدُ حُسَيْنُ النَّمَكِيُّ:

٣- تَارِيخُ وِلَايَةِ الصَّعِيدِ فِي العَصْرَيْنِ المَمْلُوكِيِّ وَالعُثْمَانِيِّ، المُسَمَّى "نُورُ العُيُونِ فِي ذِكْرِ جِرْجَا مِنْ عَهْدِ ثَلَاثِ قُرُونٍ"، تَحْقِيقُ: أَحْمَدُ حُسَيْنُ النَّمَكِيُّ، مَكْتَبَةُ النَّهْضَةِ المِصْرِيَّةِ، القَاهِرَةُ، الطَّبْعَةُ الأُولَى، ١٩٨٨م.

أحمد شلبي:

٤- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مَكْتَبَةُ النَّهْضَةِ المِصْرِيَّةِ، القَاهِرَةُ، الطَّبْعَةُ الرابعة، ١٩٨٣م.

السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ رَشِيدٌ رِضَا:

٥- تَارِيخُ الأُسْتَاذِ الإِمَامِ، الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ، دَارُ الفَضِيلَةِ، ٢٠٠٦م.

مُحَمَّدُ عَبْدُ المُنْعِمِ خَفَاجِي، عَلِيٌّ عَلِيٌّ صُبْحٌ:

٦- الأَزْهَرُ فِي أَلْفِ عَامٍ، مَكْتَبَةُ الأَزْهَرِ التُّرَاثِيَّةُ، القاهرة، الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ، ٢٠٠٩م.

مُحَمَّدٌ كَامِلُ الفَقِي:

٧- الأَزْهَرُ وَأَثَرُهُ فِي النَّهْضَةِ الأَدَبِيَّةِ الحَدِيثَةِ، المَطْبَعَةُ المُنِيرِيَّةُ بِالأَزْهَرِ الشَّرِيفِ.

يُوسُفُ المَرْعَشْلِيُّ:

٨- نَثِيرُ الجَوَاهِرِ وَالدُّرَرِ فِي عُلَمَاءِ القَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ، دَارُ المَعْرِفَةِ، بَيْرُوت - لُبْنَان، الطَّبْعَةُ الأُولَى، ٢٠٠٦م.

رابعا: مَوَاقِعُ الإِنْتَرْنِت:

١- هَيْئَةُ كِبَارِ العُلَمَاءِ: سِيَرُ أَعْلَامِ هَيْئَةِ كِبَارِ العُلَمَاءِ القُدَامَى، مَوْقِعُ الأَزْهَرِ الشَّرِيفِ، مُتَاحٌ عَلَى:

https://www.azhar.eg/scholarstarajum/13_muhammad_shaker_al-jerjawi

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٨٩٥
٢-	Abstract	١٨٩٦
٣-	المُقَدِّمَةُ	١٨٩٧
٤-	التَّمْهِيدُ:	١٩٠٠
٥-	اَلْمَبْحَثُ اَلْأَوَّلُ: الدَّوْرُ الإِصْلَاحِيُّ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ فِي الفَتْوَى وَالقَضَاءِ وَالتَّعْلِيمِ الأَزْهَرِيِّ:	١٩٠٤
٦-	اَلْمَبْحَثُ اَلثَّانِي: الشيخُ مُحَمَّدٌ شاكرٌ وَكِيلًا لِمَشيخَةِ الأَزهَرِ ومواقفه في الدينية والسياسية.	١٩٢٥
٧-	خَاتِمَةُ:	١٩٣٥
٨-	ثَبْتُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ	١٩٣٧
٩-	فهرس الموضوعات	١٩٣٩

تم بحمد الله